
الأمانة العامة
للعتبة الحسينية
المقدسة
الوارث
١٠٤
مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية
حسبي الله

ربيع الأول ١٤٤٠هـ
تشرين الثاني٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

الوارث — الأمانة العامة للمكتبة الحسينية المقدسة

إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١
هاتف: ٣٢٦٤٩٩-بدالة: ٣٢١٧٧٦
- داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة
www.imamhussain.org
موقع القسم
www.imamhussain-lib.org
بريد القسم
info@imamhussain-lib.org



كلمة العدد

الإمام الحسن عليه السلام
فوق الشبهات

تلك هي قطعة الزمن التي كانت عهد خلافة الحسن بن علي في الاسلام والتي جاءت بين دوافع الاولين، وتساهل الآخرين، صورة مشوهة من صور التاريخ.

وتعرضت في مختلف ادوارها لما كان يجب ان يتعرض له امثالها من الفترات المطموسة المعالم، المنسية للحقائق، المقصودة ـ على الاكثر ـ بالاهمال او بالتشويه، فاذا بالحسن بن علي (عليه وعلى ابيه افضل الصلاة والسلام) في عرف الاكثرين من المتسرعين باحكامهم ـ من شرقيين وغربيين ـ الخليفة الضعيف السياسة! التوفر على حب النساء! الذي باع «الخلافة» لمعاوية بالمال!!

الى كثير من هذا الهذر الظالم، الذي لا يستند في مقاييسه على منطق، ولا يرجع في تحكماته الى دليل، ولا يعنى في ارتجالياته بتحقيق او تدقيق.

وهنا نرى اعظم الفترات التي مرّ بها تاريخ الاسلام منذ وفاة الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم والى يوم الناس، لانها كانت ظرف الخلافة الفريدة من نوعها في تاريخ الخلائف الآخرين، ولانها بداية اقرار القاعدة الجديدة في التمييز بين السلطات الروحية والسلطات الزمنية في الاسلام، واللحظة التي صدّقت باحداثها الحديث النبوي الشريف الذي انبأ برجوع الامر بعد ثلاثين عاماً الى الملك العضوض، ولانها الفترة التي تبلورت فيها الحزازات الطائفية لاول مرة في تاريخ العقائد الاسلامية.

فاذا الحسن بن علي عليهما السلام وعلى قصر عهده في خلافته، من أطول الخلفاء باعاً في الادارة والسياسة، والرجل الذي بلغ من دقته في تصريف الامور، وسموّه في علاج المشكلات، انه استغفل معاوية بن ابي سفيان اعنف ما يكون في موقفه منه حذراً وانتباهاً واستعداداً للحبائل والغوائل.

واذا بزواجه الكثير دليل عظمته الروحية في الناس.

واذا «بالصلح» الذي حاكه على معاوية اداته الجبارة للقضاء على خصومه في التاريخ، دون ان يكون ثمة اية مساومة على بيعة أو على خلافة أو على مال.

واذا كل خطوات هذا الامام العظيم عليه السلام، آية من آيات عظمته التي جهلها الناس وظلمها المؤرخون.

وكان من أفظع الكفران لمواهب العظماء، ان يتحكم في تاريخهم وتنسيق مراتبهم، ناس من هؤلاء الناس المأخوذين بسوء الذوق، او المغلوبين بسوء الطوية، يتظاهرون بالمعرفة ويرتجزون بحسن التفكير، ثم يتحذلقون بالتطاول على الكرامات المجيدة، دون رويّة ولا تدقيق ولا اكتراث، فلا يدلون بتفريطهم في احكامهم الا على فرط الضعف في نفوسهم.

وليس يضر الحسن بن علي أن تظلمه الضمائر البليدة ثم ينصفه التمييز.

وان لهذا الامام من مواقفه ومن مواهبه ومن عمقه ومن أهدافه ما يضعه بالمكان الاسنى من صفوة «العظماء» الخالدين.

المشرف العام

إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام

قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.[إبراهيم:٢٤].

إنّ أحد الأشياء التي نلاحظها في الأشهر المباركة، هو التأكيد الوارد حول إحياء ذكرى سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، حيث يوجد في الروايات الواردة حقٌّ وتأكيدٌ على إحياء ذكرى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

فهنالك زيارةٌ لسيد الشهداء عليه السلام في الأول من شهر رجب، وهنالك زيارة لسيد الشهداء عليه السلام في الخامس عشر من شعبان، وهنالك في شهر رمضان المبارك تركيز على إحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام في ليالٍ عِدَّة وليس في ليلة واحدة، حيث وردت زيارة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في الليلة الأُولى، وفي ليلة منتصفه، وفي الليلة الأخيرة منه، وفي ليالي القدر الثلاث، فتصبح الليالي التي نحيي فيها ذكرى الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه في شهر رمضان المبارك ست ليالٍ.

كذلك هنالك إحياء لهذه الذكرى في عيد الفطر، وفي عيد الأضحى، وفي يوم عرفة، وفي شهر محرم، وفي العشرين من شهر صفر، وغيرها.

فهنالك عِـدَّة أبعاد في إحياء ذكـرى سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه:

أولاً: البعد الحضاري

أحد أكبر الأخطار التي تهدد كلَّ حضارة هو خطر الذوبان الثقافي، ولا يتعلق الذوبان الثقافي بحجم الأُمَّة، فربما

تكون هنالك أُمَّة كبيرة من ناحية الحجم، ولا يتعلق هذا الخطر بحجمها وإنْ تعلق بكيانها، كذلك لا يتعلق خطر الذوبان الثقافي بقوة الأُمَّة، فقد تكون هنالك أُمَّة قوية مهيأة ولا تفتقد شيئاً من عناصر القوة، ولكن قد يهدد خطر الذوبان الثقافي حضارتها وكيانها.

وأوضح مثال على قولنا هذا هم المغول الذين جاؤوا إلى بلادنا بذلك الجيش الجرار الذي كان لديهم، فكانوا يملكون كلَّ شيء في ذلك الحين، واحتلوا البلاد الواحدة تلو الأُخرى، وحطّموا الخلافة العباسية، فقد كان المغول أقوياء حيث يُنقل أنَّ نهر دجلة كان ملوَّناً باللونين الأحمر والأسود، لعدَّة أيام من الدماء التي أُريقت في بغداد والكتب الخطية التي أُلقيت في نهر دجلة، ولكن مع ذلك ذاب المغول ثقافياً، لعدم امتلاكهم مناعة وحصانة فكرية، فقد امتصتهم الأُمَّة الإسلامية وهضمت الغزو المغولي في داخلها، وتحول حكام المغول أنفسهم إلى مسلمين، وبعضهم تحوّل إلى موالين لأهل البيت صلوات الله عليهم. (الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي لحسن الأمين:٤٧).

إذن فالمغول كانت أُمَّة قوية ولكنَّها ذابت ثقافياً في أُممٍ أُخرى، وكانت حضارة قوية ولكن ذابت ضمن حضارة أُخرى، فلا يتعلق الذوبان الثقافي إذن بحجم الأُمَّة ولا بقوتها ولا بمواردها الطبيعية، ولكن يتعلق بالمناعة الفكرية لها، وهي إحدى أقوى النقاط التي نمتلكها نحن الموالين لأهل البيت صلوات الله عليهم، فلو فتّشت العالم كلَّه من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب فلن تجد أُمَّةً تملك قوة كقوة سيد الشهداء عليه السلام.

الموالون لأهل البيت صلوات الله عليهم يملكون أقوى قوة، وهي سفينة النجاة: «كلُّنا سفن النجاة ولكنَّ سفينة الحسين عليه السلام أوسع وفي لجج البحار أسرع».

فهذه الحملات التي تعرّض لها الموالون لأهل البيت عليهم السلام يندر أنْ تعرضت لها أُمَّة أُخرى، والأحقاد التي انصبّت على الموالين لأهل البيت صلوات الله عليهم منذ ذلك اليوم، حيث يندر أنْ توجد هكذا أُمَّة في التاريخ كلِّه تنصبّ عليها هذه الأحقاد وبهذا الحجم والقدر، فقد شرّدوهم تحت كلِّ حجر ومدر منذ أيام معاوية وقبل ذلك أيضاً.

فإذا كان الشخص يُتّهم بالموالاة دون أنْ يثبت بأنَّه موالٍ - مجرد تهمة أو ظن فقط - ينكّلون به ويهدمون داره، لقد مرّت على الموالين لأهل البيت عليهم السلام أيام كان يقال للرجل فيها بأنَّه زنديق، بمعنى كافر، ملحد، مشرك، أحبّ له من أنْ يُقال له إنَّه موالٍ لأهل البيت عليهم السلام!! (الإمام جعفر الصادق عليه السلام للجندي:١٠٧).

لاحظ الإرهاب والتنكيل وتهديم الدور، ولكن لاحظ اللطف الإلهي أيضاً وهو لطف عظيم، فهذه الأُمَّة التي قُتّلت وشُرّدت وبُنيت في أسطوانات بغداد وسُملت أعين رجالها وقُطعت أعناقهم أو وضعوا في السجون حتى ماتوا، تلك السجون التي ما كان السجين يُميّز فيها الليل عن النهار، كيف قاومت هذه الأُمَّة كلَّ ذلك؟

إنَّها قاومت بقوة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، بمجالس سيد الشهداء صلوات الله عليه التي حفظت - بإذن الله تعالى وبحوله وبقوته - هذا الكيان وهذه الأُمَّة، (فلا يزداد أمره إلا علوّاً). (بحار الأنوار:٥٧/٢٨).

هذا هو البُعد الحضاري لذكرى سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

المجالس الحسينية

ذلك الرجل يأتي إلى بيت الله الحرام ويطوف حول الكعبة ويؤدي الأعمال المطلوبة ثمَّ يخاطب الله سبحانه وتعالى ويقول: يا ربّ يا الله إنَّك نعم الربّ تفضلت وأنعمت وجدت... ولكن أذكُر فضل محمد صلى الله عليه وآله - طبعاً هذا تذكير لنا جميعاً - فكان هنالك حول هذا البيت ثلاثمائة وستون صنماً تُعبد من دون الله تعالى، ولكنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله حطّم هذه الأصنام وأقرّ الوحدانية، فاذكر فضل النبيّ صلَّى الله عليه وآله، ولو لم يكن هذا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله ما كنتَ تُعبد وحدك، ولكانت اللات والعزّى وهبل.

ثمَّ جاء الرجل إلى المدينة المنورة وسلّم على النبيّ صلَّى الله عليه وآله وقال: إنَّك نعم النبيُّ صلى الله عليه وآله جاهدتَ وعملتَ وضحيتَ وفعلتَ وقد ذكرتُك عند ربك، ولكن يا رسول الله لا تنسَ فضل عليٍّ عليه السلام، فإذا لم يكن عليٌّ صلوات الله عليه موجوداً لم يبقَ هنالك ذكرٌ للنبيّ صلَّى الله عليه وآله.

لقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يقول: «يا علي اكشفها عني». (الانتصار للعاملي:١٨٠/٦).

فهذا نداء النبيّ صلَّى الله عليه وآله يوم أُحُد: «يا عليٌّ ردَّ هذه الكتيبة عني».

فمن الذي كان يكشف الكرب عن وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقال له أحد الأشخاص: إنَّك ذكرت الفرع ونسيت الأصل، فلو لم تكن فتوحات عليٍّ عليه السلام





هل كانت تصل النوبة إلى فتوحات اذكروا تلك الفتوحات، فلو لم يكن موقف عليّ صلوات الله عليه في بدر، ولو لم يكن موقفه في أُحُد، ولا في بقية الغزوات، لما كان بقي من هذا الدين أيّ أثر، فاذكر فضل عليٍّ صلوات الله عليه.

وجاء هذا الرجل إلى النجف الأشرف وقال لعليٍّ صلوات الله عليه ذكرتُك عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ولكن يا عليّ أذكر الحسين عليه السلام، فإنْ لم يكُن الحسين موجوداً، ولم تكُن ثورته، لم يكن يبقى لك أثر، فلولا الحسين صلوات الله وسلامه عليه ما كان يبقى أيٌّ أثر من عليٍّ ومن النبيّ صلَّى الله عليهما وآلهما ولولا هذه المجالس وهذه الذكرى لم يكن يبقى لسيد الشهداء عليه السلام أثر.

ثانياً: البعد الأمني

المجالس والزيارة أمان لأهل الأرض

هنالك أخطار تهدد الأُمم وأخطار تهدد الأفـراد، ربما يأتي عـذاب إلهي - والعياذ بالله - ويهدد أُمَّـة ما من الأُمم، فالعذاب الإلهي لا يحتاج إلى مؤونة، فهنالك تلك المدينة التي كانت مضرب أمثال في العالم كلِّه، ولكن في لحظات وليست دقائق، أي في عشرين ثانية فقط، يأتي زلزال يضرب تلك المدينة ويقتل أكثر من أربعة آلاف إنسان، وهذا يسمى خطراً يهدد أُمَّة.

وهناك خطر يهدد الأفراد، فلا نعلم ما الذي قدّر الله سبحانه وتعالى لنا في حياتنا اليومية، لا نعرف ما الذي كُتب لكلِّ واحد منا، فهل نحن من الأحياء أو من الأموات؟

حقاً إنّ القدر الإلهي رهيب، ولا يعلم الإنسان لأنَّ تقلب الدهر تقلب فاحش وشديد وكثير.

إنَّ مجالس سيد الشهداء عليه السلام وإحياء ذكراه هي من أفضل الوسائل الغيبية لدرء المخاطر والآفات التي تهددنا كأفراد وتهددنا كأُمم، لقد جعل الله سبحانه وتعالى عللاً طبيعية في هذا الكون، ولكن جعل هنالك عللاً غيبية أيضاً، فالذي أعطى التأثير لحبة الدواء هذه، أعطى التأثير الغيبي لتلك التربة (تربة الصلاة، تربة قبر الحسين عليه السلام).

من الذي أعطى التأثير لهذه الحبة؟ هل امتلكت التأثير من ذاتها؟ ومن أين لها هذه القوة؟ هل هنالك شيء في هذا الكون يملك صفةً أو تأثيراً من ذاته؟ وهل هنالك ما هو ذاتي في هذا الباب؟ ليس لدينا ذاتي في هذا الباب، حتى لا يختلف ولا يتخلّف.

إنَّ الله تعالى الذي أعطى العلل الطبيعية آثارها، وأعطى للأشياء الغيبية آثارها أيضاً.

ينقل ذات مرة أنَّ الوباء عمَّ العراق، وفي ما مضى كانت الأوبئة تأتي وعندما تنتشر لا يمكن القضاء عليها بسهولة فكانت تبقى مدّة طويلة وتحصد الملايين أو عشرات الآلاف، لعلّه لا يبقى بيت في مدينة إلاّ ويدخله الوباء، فيأتي الوباء للعراق ويدخل مُدُنه ومن ضمنها يدخل مدينة النجف الأشرف، وكان فيها رجل متديّن مؤمن.

يقول هذا الرجل: نحن توسلنا إلى الله سبحانه وتعالى بسيد الشهداء عليه السلام فأقمنا مجلس توسل بسيد



الشهداء صلوات الله عليه في إحدى الساحات العامة، وليس في أحد البيوت، ثمَّ انتهى المجلس وذهب الناس إلى أعمالهم. وكان هذا الرجل مُتعباً ومرهقاً بعد عمل طويل، وقال: نمت هناك في الساحة نفسها التي أقمنا بها المجلس ولم أذهب إلى البيت، وفي المنام رأيت ثلاثة مسلحين أحدهم أخذ يهاجمني وأراد أنْ يقضي عليَّ وفي هذه الأثناء نَهَرَهُ صاحِباهُ المسلحان اللَّذان كانا معه وقالا له: اترك هذا الرجل، أما ترى هذه الآثار، وهذه المفروشات لا تزال مفروشة في عزاء سيد الشهداء صلوات الله عليه ولا تزال هذه المنقلة موجودة هنا، وهذه أباريق القهوة لا تزال موجودةً هنا أيضاً، فاترك هذا الرجل.

يقول: لقد تركني فعلاً، وسمعت الرجلين يقولان له: اترك هذا الرجل ولنذهب إلى قرية ثانية، ثمَّ استيقظتُ من المنام مرعوباً، في صباح اليوم التالي كنت أترّصد الأخبار التي ذكرتْ بأنَّ هنالك ثلاثة أشخاص من القرية الفلانية ماتوا في تلك الليلة، لقد توجه الأجل لهذا الرجل في تلك الليلة ولكن دفع الله البلاء ببركة عزاء سيد الشهداء عليه السلام.

يبدو أنَّ التقدير الإلهي له مراحل، مرحلة بعد مرحلة، فقد جاء الأجل لهذا الرَّجُل ولكنَّ الأعمال والمجالس تردُّ القضاء، (وقد أُبرم إبراماً) بمعنى أصبح القضاء حتميّاً، وكلّ العلل تؤدي إلى ذلك، ولكن ببركة هذه المجالس يُدفع هذا الأمر.

ثالثاً: البعد الروحي

شفاعة المجالس الحسينية

لعلَّ البعد الثالث أكثر أهمية من البعد الثاني، إنَّ هذه المجالس والذكرى شفيعةٌ لنا في ذلك اليوم وهو الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، في ذلك اليوم الذي يكون فيه الإنسان بأشدِّ الحاجة، لأنَّ يده انقطعت من كلِّ شيء ولا يوجد عنده أيٌّ شيء ينفعه، وحينما يتقطّع كلُّ شيء عن الإنسان، تكون هذه المجالس وهذه الذكرى والزيارة والعبرة شفيعةً له في ذلك اليوم.

وفي الحقيقة أنَّ من الضروري على المؤمنين أنْ يعمّموا هذه المجالس، فكم هو جيد حين تجدون هذه العادة الجيدة في بعض العوائل؟ في إحدى العوائل تجد (المجلس الحسيني) في بيوتهم، فكم هي عادة جيدة حقاً، وكم هو جيد أنْ تنحى الناس هذا المنحى؟

وكم هو جيد أنْ يعمل الشباب المؤمنون وفق هذا المنهج، سواء في إطار عائلي أو غير عائلي، فالحقيقة إنَّ الإنسان عندما يذهب إلى جوار ربِّه سيتأسف على كلِّ ما فاته من هذه الأشياء، و﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ .[الفجر:٢٤].

فإذا تمكن الإنسان وليس بينه وبين الله تعالى محذور، فمن أفضل القربات إليه سبحانه هو إحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام، ومن أفضل الوسائل للخلاص من عذاب الآخرة هو إقامة تلك المجالس

المباركة في البيوت.

لقد بذل أصحاب الحسين صلوات الله عليه أرواحهم، وهو أثمن شيء لدى الإنسان، وينبغي أنْ يتصور الإنسان ذاك الموقف، فالإنسان بشر، وهؤلاء كانوا بشراً، وعندهم عاطفة كالعواطف التي عندنا، ففعلوا هذا لنصرة سيد الشهداء عليه السلام، أمّا الآن فأقول ليس المطلوب من الشخص أنْ يبذل روحه، بل يقيم مجلساً في بيته، عزاءً لسيد الشهداء عليه السلام، فهل يبخل الإنسان على سيد الشهداء عليه السلام بهذه التضحية البسيطة؟!

يُنقل عن أحد الخطباء المشهورين في النجف أنَّه قال ذات مرة: في ليلة من ليالي عاشوراء كنت أتنقّل من مجلس إلى آخر، فمررت بزقاق السيد علي الدرويش وإذا بذلك الرجل المعروف ببعض القضايا يأخذني نحو بيته ويقول: إلى أين أنت ذاهب؟ فقلت له: عندي مجلس يجب أنْ أذهب، فقال: ألا تقرأ لي مجلساً، فهذه الليلة ليلة عاشوراء سيد الشهداء صلوات الله عليه؟ قلت له: في الواقع عندي مجلس آخر، وأنا مستعجل، فقال الرجل متوسلاً: لحظات فقط، تقرأ لي مجلساً ثمَّ تذهب إلى مجلسك؛ فقلت له: أين الجمهور وأين المستمعون؟ لمن أقرأ المجلس؟ فقال: لي! ألستُ أنا إنساناً؟ ألستُ بمسلم؟ ألستُ بموالٍ؟ فقلت له: ولكن أين المنبر؟ فنحن الخطباء لابُدَّ أنْ نجلس على منبر ونقرأ، ثمَّ فجأةً رأيته وقد انحنى واتخذ وضع السجود واعتمد على يديه ورجليه وقال: أنا المنبر اصعد على ظهري واقرأ، وقد قال ذلك بصفاء وإخلاص حقيقي.

فرأيت لابُدَّ أنْ أقرأ له حيث لم يترك لي عذراً، وجلستُ على ظهره وهو في حالة السجود وقرأت بعض الكلمات وقلت: (السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا مظلوم...)، وقرأت عدَّة كلمات مختصرة، وإذا بالرجل يجهش بالبكاء في ليلة عاشوراء، وأكملت القراءة بسرعة وواصلت طريقي.

وبعد ثلاثة أيام رآني أحد فضلاء النجف وقال لي: هل علمت بالخبر؟! قلت له: وأي خبر تعني؟ فقال: إنَّ فلاناً مات (ويقصد الرجل الساكن في زقاق السيد علي الدرويش) وقد رأيت حوله البارحة رؤيا لا أعلم ماذا تعني؟ فقلت له: ماذا تعني بالرؤيا؟ فقال لي: رأيت البارحة في المنام أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه واقفاً في أيوان الحرم وإذا بجنازة تأتي إلى الداخل، يطوّفونها حول قبر الإمام المبارك، ثمَّ يدفنونها في صحن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فتوّجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى أولئك الذين يحملون الجنازة وقال لهم: أخرِجوا هذا الرجل الذي تحملونه خارج الحرم لأنَّه ليس له قابلية أنْ يُدفن هنا، فهو ملوّث ببعض الذنوب والآثام أخرِجوه من هذا المكان.

ويواصل رؤياه قائلاً: وحين أرادوا أنْ يخرجوه وإذا بي أرى سيد الشهداء صلوات الله عليه يدخل مسرعاً ويأتي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويسلّم عليه ويقول له: يا أبتاه ائذن بدفن هذا الرجل إلى جوارك، فتوجّه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى سيد الشهداء عليه السلام وقال له: أنت تعلم بأنَّ هذا الرجل كان له في حياته بعض الذنوب والآثام ولا يليق به أنْ يُدفن في هذا المكان، فتقدم سيد الشهداء عليه السلام خطوة إلى أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه وقال له: هل يمكن يا أبتاه أنْ يُحرق منبرك بالنار، لأنَّ هؤلاء الملائكة النقالة إذا أخذوه من هنا ولم يسمحوا بأنْ يدفن بجوارك، فهذا يعني أنَّه سينقل إلى مكان آخر بعيد عنهم، فهل يليق أنْ يُحرق منبرك بالنار؟ فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: كلا، فوافق أنْ يدفنوه هنا. فدفنوه في ذلك المكان المطَّهر.

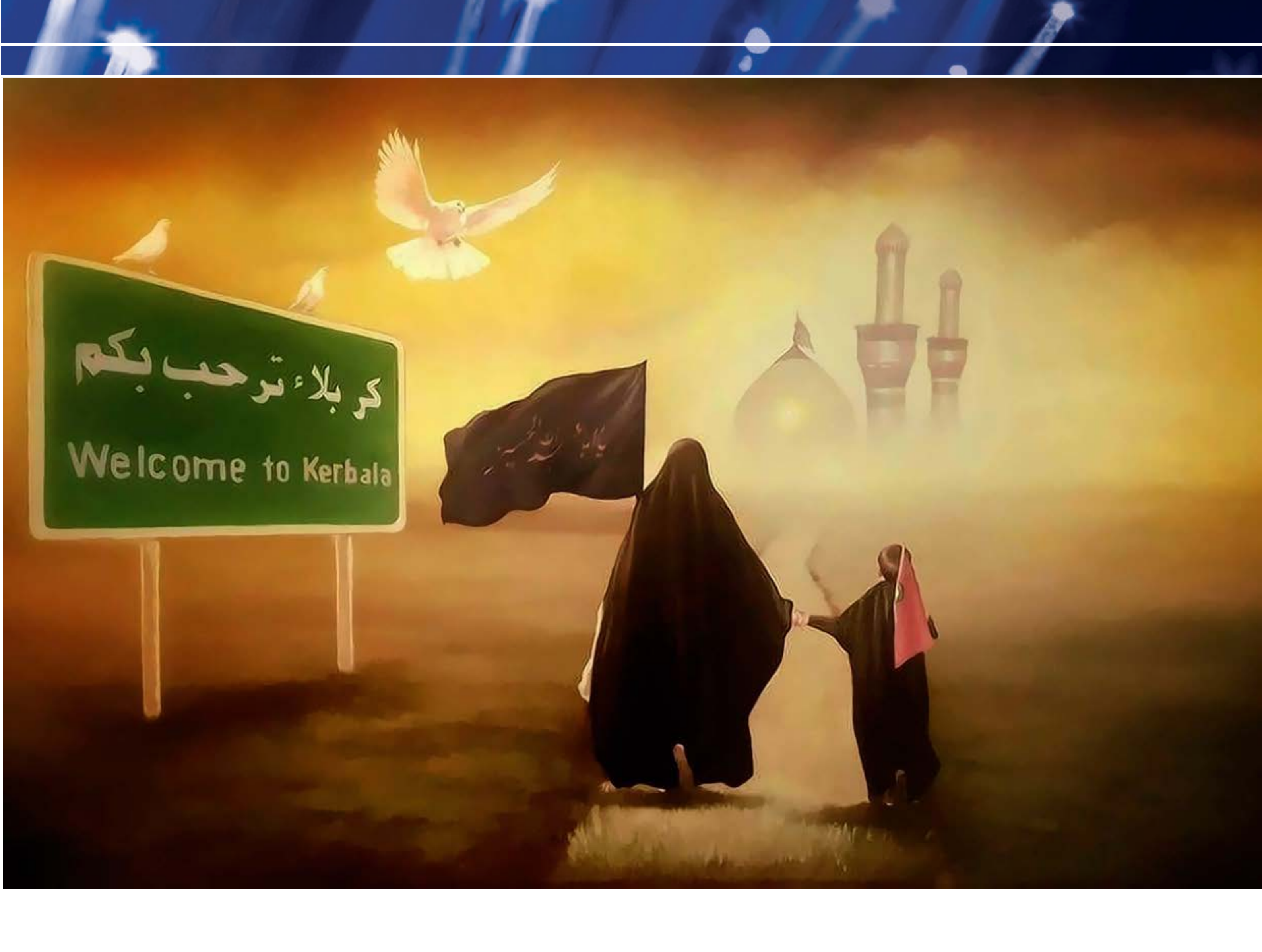
فبكى هذا الخطيب بكاءً مرّاً وقال: إنَّ هذه الرؤيا رؤيا صادقة، لقد كان هذا الرجل منبراً لسيد الشهداء عليه السلام في لحظات وقد نَجَّتْهُ تلك اللحظاتُ بشفاعة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه من عذاب النار وعذاب الآخرة.

إذن فهذه المجالس تحفظ لنا دين أبنائنا، حيث يعيشون في أجواء ملوّثة، فالمدارس ملوّثة، والصحف ملوّثة، والمجتمع ملوّث، بل كلُّ شيء ملوّث حتى الهواء الذي يستنشقه الابن ملوّث، إنه تلوّثٌ كامل يشمل كلَّ شيء.

إذا أردنا أنْ نحفظ أبناءنا فالطريق هو إقامة مجالس سيد الشهداء عليه السلام في كلّ بيت وفي كلّ مكان، ولكن بقدر الإمكان، حيث ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ .[البقرة:٢٨٦]

وإذا أردنا أنْ نحفظ إيماننا فالطريق هو سيد الشهداء عليه السلام، وإذا أردنا الأمان في الدنيا والآخرة فالطريق هو سيد الشهداء عليه السلام أيضاً.

أحمد عبد الحسن



كربلاء منطلق المصلحين

الإصلاح هدف من الأهداف التي دعت إليها الديانات السماوية، وعمل من أجلها الأنبياء والمرسلون والأوصياء على مرِّ التاريخ، فما من نبيٍّ جاء إلى قومه إلَّا وعمل على إصلاح شأنهم وتصحيح حالهم، وإنْ كلفهم تقديم حياتهم ثمناً لعملية الإصلاح.

والإمام الحسين عليه السلام الوارث لهؤلاء الأنبياء جميعاً كما ورد في الزيارة هو الآخر قام من أجل الإصلاح وقدم الخيرة من أهله وأصحابه ثمناً للإصلاح.

وقد جاء في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية: هذا ما أوصى به الحسين بن عليّ بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أنَّ الحسين يشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده و رسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنَّ الجنة والنار حق، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾. [الحج/٢٢]

وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً و إنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمَّة جدي أُريد أنْ آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر و أسير بسيرة جدي وأبي.

والإصلاح كشعار أو بالمعنى الأعم قد ينطلق من غير الأنبياء والأوصياء ومن يسير في خطهم، وربما تنعكس دعواتهم على الأرض فيلاحظ الناس انعكاسها على الواقع، نظراً لامتلاكهم أسباب القوة ومواقع الأمر والنهي، وهذا يدعونا إلى التعاطي معها ولكنْ ضمن رؤية تأخذ المعايير الدينية بعين الاعتبار، والواقع الخارجي بموضوعية. وبذلك يكون التعاطي بعيداً عن التسطيح والسذاجة.

ثمن الإصلاح

تستبطن الدعوة إلى الإصلاح وجود واقع فاسد، أو سيئ، أو متخلف، ويحتاج إلى تصحيح وإصلاح، وتفترض عملية الإصلاح وجود جبهتين:

جبهة متضررة من الإصلاح فتقوم على حراسة الماضي والدفاع عنه بل والبطش بمن ينال منه إنْ كانت بيدها أسباب البطش.

وجبهة متضررة هي الأُخرى من الواقع الفاسد والسيئ والمتخلف، فتعمل على إصلاحه.

وبين الجبهتين تنافر بيّن، يحسم بالحوار والمنطق عند ذوي الألباب، أمّا من عقله السلطة لا سلطة العقل فإنَّه لن يتقدم خطوة واحدة نحو الإصلاح، ولن يستجيب لنداء العقل والوحي المتمثل في دعوة المصلحين من الأنبياء والأوصياء والمصلحين، ولذا كان لا بُدَّ من التضحيات وهي الكفيلة بحسم النزاع والوصول إلى الإصلاح.

والتضحيات لا تكون للوصول إلى الإصلاح فحسب بل لا بُدَّ أنْ تستمر وتستمر في حراسته والحفاظ عليه من أنْ يحور أو يسرق.

ومن هنا يمكن لنا أنْ نفهم خروج الإمام الحسين عليه السلام مع قلة العدة والعدد وخذلان الناصر، فضحى لله وقدم كلّ ما يملك في سبيله والنتيجة ظهرت وبجلاء أنَّ سلاح الدم الذي استخدمه أبو الأحرار قهر قوة وجبروت بني أُمية المتمادية في الطغيان والمانعة لكلِّ طريق وسبيل يؤدي إلى الإصلاح.

ونفهم أيضاً ما قدمته عقيلة الهاشميين مع من كان معها من النسوة والأطفال كي لا تسرق عملية الإصلاح أو تحور.

فالإمام ضحى من أجل الإصلاح، ومن بقي من أهل بيته ضحوا من أجل الحفاظ على عملية الإصلاح.

وهذا درس مهم على المصلحين الالتفات إليه، فكم من الشعوب تقدم التضحيات من أجل الإصلاح فتسرق جهودها، وتحور تطلعاتها، فيقدم لها إصلاح مشوه على أنَّه هبة وتفضل من هذا أو ذاك.

كربلاء؛ إصلاح النفس

يتعرض الإنسان إلى تجاذبات وضغوطات فإنْ تجاوزها وإلّا وقع في خط الانحراف، وأخطر نقطة في هذا الخط حين يفقد الإنسان الوعي والإرادة، حينها يستسلم للواقع الفاسد ويتكيف معه، فيؤثر على كلِّ ما يرتبط به من ثقافة وفكر وأخلاق... وحينها يصبح شخصية ممسوخة في جميع جوانبها وأبعادها.

وإلى هذه الحقيقة يشير القرآن الحكيم؛ بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. [الزخرف/٤٣]

فالإرهاب والترغيب الذي مارسه فرعون تمكن من نفوسهم فسلبهم الوعي والتفكير فيما هو ضار أو نافع لهم.

وما واجهه الإمام الحسين لا يختلف كثيراً عن هذه الصورة فعمليات الإرهاب بالسجن والتنكيل والقتل والتشريد، والترغيب بالهبات والتفضيل في العطاء الاقتصادي والسياسي والاجتماعي - كلٌّ بحسبه - مسخ نفوساً كثيرة، فحولهم من زمرة الصالحين والعاملين في خطهم، إلى زمرة المفسدين والحارسين لهم.

وإلى ذلك يشير الإمام الحسين بقوله: سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم. (إبصار العين:١/٣٤)

فكان لابد من هزّة عنيفة تؤثر في النفوس فتشعرها بعمق المأساة وحجم الكارثة فتنتشلهم من هذا المستوى من المسخ الذي يعيشون فيه.



فإصلاح النفوس هو أول الأهداف وأهمها لهذه النهضة المباركة، والمستهدف من عملية الإصلاح هو الإنسان، ولا يتحقق إلّا به أيضاً.

ولقد كان لنهضته الأثر الكبير في إصلاح النفوس من خلال استعادة الوعي والإرادة في نفوس أبناء الأُمَّة، وتقديم نماذج صالحة استطاعت تجاوز التجاذبات والضغوطات فتجاوزت كلَّ الصفات المخلة بإنسانية الإنسان، وسطرت قيم الصلاح في معركة الفضيلة.

فالوفاء، والإيثار، والشجاعة، وتجاوز الذات... مرتبطة بإنسانية الإنسان وقد سطرها آل الحسين وأنصاره في معركة القيم الخالدة.

بينما اللؤم، والحسد، والجشع، والطمع، والدناءة والخسة... صفات دخيلة على إنسانية الإنسان وقد صرعها آل الحسين وأنصاره في مواجهتهم مع بني أمية وأنصارهم.

لذا ينبغي علينا ونحن نعيش أجواء الأربعين أنْ نتعرض للإصلاحات فنصلح بها أنفسنا، وكلَّما مرَّ علينا هذا الموسم المبارك طهرت أنفسنا وزكت أرواحنا، وحينئذ يحق لنا أنْ نقول (يا ليتنا كنا معكم)، لأنَّنا والحال هذه نكون معهم ومن جملة ناصريهم.

كربلاء؛ إصلاح الأُمَّة

تبرز لفظة (أخرج) و(خرجت) في قوله: لم أخرج.. وإنَّما خرجت، معنى أكبر وأعمق من المغادرة، فليس مراده من ذلك مجرد المغادرة، وإنَّما يريد أنْ يظهر أنَّ لديه مشروع نهضة للأُمَّة بعد أنْ سيطر عليها التخلف من جميع جوانبها.

ويتضح ذلك من استعمال هذا الاصطلاح في الأبعاد السياسية، ومن تصريحه بالإصلاح.

والإصلاح ضرورة لأيِّ مجتمع، أو قوم، أو أُمَّة محكومة بنظم لا تنسجم مع قيمها التي تؤمن بها، أو لا تتلاءم مع المستوى الذي يعيشه أبناؤها، (ثقافياً، سياسياً، اقتصادياً، اجتماعياً) ويتطلعون إليه.

فإن استشعر القادة والمفكرون والأعيان ضرورة الإصلاح وبادروا إليه، وإلَّا فإنَّ الأُمَّة مرشحة للانفجار، وكلما ازدادت مواطن الخلل اقترب موعد الانفجار من التحقق.

وللأنبياء وأوصيائهم دور أساسي في هذه المعادلة، فقد تضمنت رسالاتهم جميعها في أحكامها وشرائعها التفاصيل والحقائق الكفيلة بتحديد ما للإنسان من حقوق وتطلعات ورغبات وكشفت عن أبعادها الدينية والأخلاقية، ونصت على أنَّ إرسال الرسل والأنبياء بالكتب والبينات وتنصيب الأوصياء لهم، إنَّما هو من أجل إنقاذ الإنسان من ظلمات الجاهلية وقيادته إلى النور والعلم والمعرفة، والسير به في أوجه الخير والحق، وإبعاده عن أوجه الشر والباطل، والارتقاء به نحو الكمالات، وتأهيله لأداء مسؤوليته في الحياة.

والإمام الحسين عليه السلام وهو أحد الأوصياء الذين نصَّ عليهم الرسول، حين رأى الخلل المستشري في جسم الأُمَّة بادر للإصلاح.

قال: اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً في فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك في بلادك. (نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧)

فعملية الإصلاح التي قادها الإمام عليه السلام تمثل مشروع نهضة للأُمَّة، لذا يجب على كلِّ المصلحين الارتباط بها والتتلمذ عليها، وعلى أبناء الأُمَّة الالتفاف حول رايتها، والارتباط بها فهي الملاذ الآمن لكلِّ من يطلب إصلاحاً أو يبحث عنه. (بحار الأنوار: ٣٢٨/٤٤)

الشيخ محمد حسن حبيب





إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء

قبل أيام غادرنا أخ عزيز علينا، وأُستاذ في ميدانه، ومؤمن جنّد نفسه لرفد الساحة الإسلامية بالنشاطات العلمية والثقافية، فكان له صولات وجولات في ميادين البحث العلمي والمنبر الثقافي ألا وهو العلامة المرحوم السيد محمد علي الحلو.

عرفناه أخاً متواضعاً، ومؤمناً خلوقاً، وباحثاً مجدّاً، وأُستاذاً، له باع طويل في اختصاصه، كان السيد الحلو رجلاً ملأ مكانة بحق؛ فلذا انثلمت بموته الساحة العلمية والحوزوية، فإلى الله تعالى يا سيدنا وفدت، وعلى ربٍّ رحيم نزلت، وبجوار إمام كريم رقدت، فرحمك الله تعالى وألهم أهلك وذويك وأصدقاءك الصبر والسلوان.

السيرة الذاتية للسيد رحمه الله

ولد السيد محمد علي الحلو في عام ١٣٧٦هـ الموافق ١٩٥٨م في مدينة النجف الأشرف وتحدر من عائلة علمية عريقة.

بعد أن أكمل دراسته الأكاديمية في جامعة بغداد بدأ بحضور دروس الحوزة العلمية في النجف الأشرف بشكل سري بسبب مضايقة النظام البعثي المقبور واضطهاده لطلاب وأساتذة الحوزة، ثم شارك السيد الحلو رحمه الله في الانتفاضة الشعبانية ضد النظام المقبور عام ١٩٩٠م وبعد

نكبة الانتفاضة اضطر إلى مغادرة العراق متوجهاً صوب إيران وهناك حطَّ رحاله في مدينة قم المقدسة ليواصل درسه الحوزوي عند عدد من الأساتذة منهم السيد كاظم الحائري والشيخ محمد السند.

في النجف الأشرف تتلمذ على يد سماحة المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله.

بعد سقوط النظام المقبور عاد إلى العراق في عام ٢٠٠٤م وبدأ نشاطاته العلمية وكان منها تأسيس مكتبة عامة باسم مكتبة الإمام الصادق عليه السلام في عام ٢٠٠٧م، وله برامجه الثقافية في الفضائيات العديدة وتتناول فيها قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف فكان له برنامج خاص في هذا المجال (المهدي وعد الله).

اشترك في العديد من المؤتمرات في داخل العراق وخارجه.



كان له نشاطاته التبليغية داخل العراق وخارجه، ففي المحافظات العراقية كانت له جولات معروفة في مناطق البصرة والعمارة والناصرية والديوانية والسماوة والكوت وغيرها أقام فيها العديد من المحاضرات والجولات التبليغية.

وفي خارج العراق مارس الدور التبليغي في دول الخليج وفي دول أوروبا وغيرها من دول العالم.

كان يشرف على العديد من المجلات العلمية والمؤسسات الدينية.

كان يمارس الإشراف على العديد من اللجان والأنشطة العلمية ففي عام ٢٠١٥م اختير رئيساً للهيئة العليا لموسوعة الأربعين التي تتابع زيارة الأربعين.

كان عضواً في اللجنة العلمية للعتبة الحسينية المقدسة وعضواً في اللجنة العلمية للعتبة العباسية المقدسة، وعضواً في اللجنة العلمية في مسجد الكوفة المعظم وعضواً في اللجنة العلمية لمسجد السهلة وغيرها.

مؤلفات السيد رحمه الله

للسيد الحلو رحمه الله نشاطات ثقافية واجتماعية ودينية كثيرة، أما مؤلفاته فقد كان يملك ذهناً وقّاداً وقلماً معطاءً جاد بعشرات المؤلفات... منها ما يلي:

١. كشف البصر عن تزويج أُمِّ كلثوم من عمر.
٢. عقائدنا بين السائل والمجيب.
٣. التمهيد في علم الدراية.
٤. إيهاً فاطمة تراتيل في زمن مقهور.
٥. الليلة الفاطمية مقاربات بين ليلتين - القدر و فاطمة.
٦. أبو هريرة القادم من المجهول.
٧. الغيبة والانتظار.
٨. قافية الحنين.
٩. تاريخ الحديث النبويّ بين سلطة النص ونص السلطة.
١٠. إشكالية زواج الإمام المهدي والمهديين الاثني عشر.
١١. أنصار الحسين الثورة والثوار.
١٢. من النقد إلى الرد الشعائر الحسينية إلى أين؟
١٣. الشهيد الممتحن الإمام موسى الكاظم.
١٤. التحريف والمحرفون رصد تاريخي.





١٥. الحسن بن عليٍّ رجل الحرب والسلام.

١٦. علامات الظهور.

١٧. عقائد الإمامية برواية الصحاح الستة.

١٨. عقيلة قريش آمنة بنت الحسين الملقبة بسكينة.

١٩. محكمات السنن في الردِّ على شبهات أهل اليمن.

٢٠. الإمام الجواد الإمامة المبكرة.

٢١. تفسير الإمام الحسين التفسير الأثري التطبيقي.

٢٢. نصرة المظلوم.

٢٣. الظاهرة الحسينية.

٢٤. أدب المحنة شعراء المحسن بن عليٍّ.

٢٥. اليماني راية الهدى.

٢٦. الأُصول التمهيدية في المعارف المهدوية الإمام المهدي من الغيبة حتى الظهور.

٢٧. وقفوهم إنَّهم مسؤولون.

٢٨. مقامات فاطمة الزهراء.

٢٩. طابت أقدامكم.

٣٠. الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة مقاربات في المنهج والمفهوم.

٣١. الملتحقون بسفينة النجاة قراءة في الانتماء المعرفي.

٣٢. خلفاء المدرستين قراءة في نصوص أهل السُنّة.

٣٣. دروس في الإمامة والإمام.

٣٤. مسلم بن عقيل محنة الشهيد وملحمة الشهادة.

٣٥. فقه الحوار ونبذ العنف في حركة الإمام المهدي.

٣٦. الشهادة الثالثة الهوية المطاردة.

٣٧. مشاهدات الملأ الأعلى البيت الفاطمي تحت الكساء.

٣٨. صانعو السلام عليٌّ وبنوه.

٣٩. العباس بن عليٍّ ملحمة الطف.

٤٠. مزار شريفة بنت الحسن قراءات تحقيقية.

٤١. الزهراء فوق الشبهات.

٤٢. شرح المناجاة الخمس عشرة للإمام زين العابدين.

وللسيد الفقيد رحمه الله تعالى مؤلفات وبحوث أُخرى هذا فضلاً عن تقريراته لبحوث أساتذته في الحوزة العلمية، والندوات والمؤتمرات المختلفة.



نحنُ على الحوض ذُوادُه | نذودُ و يُسعَدُ وُرادُه

فمَا فازَ مَن فازَ الا بِنا | و ما خابَ مِن حُبِنا زادُه

فمن سرّنا نال مِنا السُرور | و مَن ساءنا ساءَ ميلادُه

و مِن كانَ غاصِبنا حقنا | يَومَ القيامَةِ ميعادُهَ

المصدر إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات ؛ ج٤ ؛ ص١٢٧



مـــن الأشـــهـــر الـــحــرم

إذا أراد الباحث المدقق أنْ يبحث عن معنى يتداول فيما بين أفراد الأُمّة، وهو (الأشهر الحُرم) فيتبادر إلى ذهنه السؤال ما معنى الأشهر الحرم، ولماذا سميت بهذا الاسم؟

ولكي لا نضيع الوقت نيمم وجوهنا تجاه كتاب الله الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكتاب الذي تحدى العرب الأقحاح جميعاً في لغتهم، وفي بلدانهم وفي عقر دارهم ونواديهم التي كانت تفتخر بالمعلقات الذهبية.

ورد في كتاب الله الكريم هذه الكلمة (الحُرُم، والحرام)، في العديد من الآيات، ولكنَّها كانت تنقسم ما بين (المسجد الحرام) وهي الأكثر، وما بين (الشهر الحرام).

والملاحظ أنّه وردت بلفظ (الشهر الحرام) خمس مرات فقط وهي في الآيات المباركات التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ . [البقرة:٣٦].

وقال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ .[البقرة:١٩٤].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .[البقرة:٢١٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة:٢].

وقال تعالى: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .[المائدة:٩٧].

كما وردت مرَّة واحدة بلفظ (الحُرُم، والأشهر الحُرُم)، وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .[التوبة:٥].

الأشهر الحُرُم

وبنظرة خاطفة على كتب التفسير نجد أنّ (الشهر) (مأخوذ من شهرة أمره لحاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم، وصومهم، وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشريعة). (تفسير التبيان:٦٩/١).

وقال أبو مسلم: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهراً، وإنّما تعبد الله المسلمين أنْ يجعلوا سنيهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب، والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم، ومحل ديونهم، وحجهم، وصومهم، وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور،

> قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾

وقوله ﴿ في كتاب الله ﴾ أي فيما كتب الله في اللوح المحفوظ، وفي الكتب المنزلة على أنبيائه، وقيل في القرآن، وقيل في حكمه، وقضائه. (القرآن والتفسي:٤٥/٢).

وقوله: ﴿ يوم خلق السماوات والأرض ﴾ متصل بقوله (عند الله) والعامل فيهما الاستقرار، وإنّما قال ذلك لأنَّه يوم خلق السماوات، والأرض أجرى فيها الشمس، والقمر وبمسيرهما تكون الشهور والأيام وبهما تعرف الشهور.

﴿ منها أربعة حرم ﴾ أي من هذه الاثني عشر شهراً أربعة أشهر حُرُم ثلاثة منها سرد (متابعة) ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد فرد وهو رجب..

ومعنى (حُرُم)؛ أنَّه يعظم انتهاك المحارم فيها أكثر ممّا يعظم في غيرها وكانت العرب تعظِّمها حتى لو أنَّ رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها، وإنَّما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حُرمةً من بعض لما علم من المصلحة في الكفِّ عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولأنَّه ربما أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة، وانكسار الحمية في تلك المدة فإنَّ الأشياء تجرّ إلى أشكالها. (مجمع البيان:٢٥٢/٢).

يقول السيد الطباطبائي: (والسَّنة التي ينالها الحس شمسية تتألف من ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وبعض يوم لا تنطبق على اثني عشر شهراً قمرياً هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً تقريباً إلَّا برعاية حساب الكبيسة غير أنَّ ذلك هو الذي يناله الحس وينتفع به عامة الناس من الحاضر والبادي، والصغير والكبير، والعالم والجاهل.

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾.. إلخ، ناظر إلى الشهور القمرية التي تتألف منها السنون وهي التي لها أصل ثابت في الحس وهو التشكلات القمرية بالنسبة إلى أهل الأرض.

والدليل على كون المراد بها الشهور القمرية - أولاً - قوله بعد: ﴿ منها أربعة حرم ﴾ لقيام الضرورة على أنَّ الإسلام لم يُحرِّم إلَّا أربعة من الشهور القمرية التي هي (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)، والأربعة من القمرية دون الشمسية). (تفسير الميزان:٢١٣/١).

وقال المبرد: (يعنى أنَّ السنة للمسلمين على الأهلة لا على ما يعدّه أهل الكتاب، فسمى الله كلَّ ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً - عند تجدد رؤية

الهلال بعد استسراده - شهراً، وسمى كلَّ اثني عشر شهراً سنة، وعاماً، وحولاً، إذ كان لا ينتظم أمر الناس إلّا بهذا الحساب، وإجراء الأحوال على مقتضى هذا المثال في جميع الأبواب.

ولما كان سائر الأُمم سوى العرب يجعلون الشهر ثلاثين يوماً والسنة بحلول الشمس أول الحمل، وذلك إنَّما يكون بانقضاء ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم، واليهود والنصارى عبادتهم المتعلقة بالأوقات تجري على هذا الحساب، بيَّن الله أنَّه حكم بأنْ تكون السنة قمرية لا شمسية وأنَّه تعبَّد المسلمين بهذا، فجعل حجهم وأعيادهم ومعاملاتهم وحساباتهم ووجوب الزكوات عليهم معتبرة بالقمر وشهوره لا بالشمس). (فقه القرآن:٢/٢٥).

وثانياً: قوله: ﴿ عند الله ﴾ و قوله: ﴿ في كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض ﴾ فإنَّ هذه القيود تدلُّ على أنَّ هذه العدّة لا سبيل للتغير والاختلاف إليها لكونها عند الله كذلك، ولا يتغير علمه، وكونها في كتاب الله كذلك يوم خلق السماوات والأرض فجعل ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾، و﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ فهو الحكم المكتوب في كتاب التكوين، ولا معقب لحكمه تعالى.

فمعنى الآية أنَّ عدَّة الشهور اثنا عشر شهراً تتألف منها السنون، وهذه العدَّة هي التي في علم الله سبحانه، وهي التي أثبتها في كتاب التكوين يوم خلق السماوات والأرض، وأجرى الحركات العامة التي منها حركة الشمس، وحركة القمر حول الأرض، وهي الأصل الثابت في الكون لهذه العدة.

ويقول السيد الطباطبائي: (من هنا يظهر فساد ما ذكره بعض المفسرين أنَّ المراد بكتاب الله في الآية القرآن أو كتاب مكتوب فيه عدّة الشهور على حدِّ الكتب والدفاتر التي عندنا المؤلفة من قراطيس وأوراق يضبط فيها الألفاظ بخطوط خاصة وضعية.

قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الحُرم جمع حرام وهو الممنوع منه، والقيّم هو القائم بمصلحة الناس المهيمن على إدارة أُمور حياتهم و حفظ شؤونها.

وقوله: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ هي الأشهر الأربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، بالنقل القطعي، و الكلمة كلمة تشريع بدليل قوله: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾...، وإنَّما جَعل الله هذه الأشهر الأربعة حُرُماً ليكفَّ الناس فيها عن القتال و ينبسط عليهم بساط الأمن، و يأخذوا فيها الأهبة للسعادة، و يرجعوا إلى ربِّهم بالطاعات والقربات.

وكانت حرمتها من شريعة إبراهيم، وكانت العرب

> قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء يحفظ في ولده»

تحترمها حتى في الجاهلية حينما كانوا يعبدون الأوثان غير أنَّهم ربما كانوا يحولون الحرمة من شهر إلى شهر سنة أو أزيد منها بالنسيء الذي تتعرض له الآية التالية ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾. وقوله: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾، الإشارة إلى حُرمة الأشهر الأربعة المذكورة، والدِّين كما تطلق على مجموع ما أنزله الله على أنبيائه تطلق على بعضها فالمعنى أنَّ تحريم الأربعة من الشهور القمرية هو الدِّين الذي يقوم بمصالح العباد). (تفسير الميزان:٢/١٢٥).

ويستفاد من بعض الرّوايات أنَّ تحريم القتال في هذه الأشهر الحرم، كان مشرّعاً في جميع الديانات والشرائع السماوية ابتداء من شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، ثمَّ الديانة اليهودية الموسوية، والنصرانية المسيحية إضافة الى الشريعة الإسلامية الخاتمية، ولعلّ التعبير بـ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ إشارة إلى هذه اللّطيفة، والنكتة الدقيقة الرقيقة، أي أنّ هذا التحريم كان في أوّل الأمر على شكل قانون ثابت، وسنة إلهية لا تتغير في كلِّ الشرائع.

وبعد هذه الجولة السريعة نجد أنَّ العرب سمت هذه الأشهر الأربعة بالأشهر الحُرم، لتعطي فرصة لقبائلها للراحة من الحرب، وقعقعة السلاح، وحمحمة الخيول في الغزو وردّ الغزو المتبادل بينهم، ولتكون فسحة في الزمان والمكان للفكر

والعقل والحكمة لحلِّ المشكلات العالقة بينهم.

وهي تشكل ربع السنة، فتكون ربع السنة محرم فيها القتال والاعتداء مهما كانت الأسباب الموجبة لذلك، وكانت العرب تحترم ذلك ولشدة احترامها لهذا القانون كانت إذا أرادت أنْ تنتهك حرمة شهر منها تنسئها (تؤخرها وتؤجلها) لشهر غيره، فتحرم شهراً عوضاً عن الشهر الحرام الذي انتهكت حرمته.

والظاهر من النصوص المتقدمة أنَّ المسألة هي مسألة دينية عقائدية بحتة، متوارثة لا أقل من أبينا إبراهيم الخليل على نبيّنا وآله وعليه السلام وشريعته الحنيفية، ثمَّ حافظت عليها القبائل العربية إلى أنْ جاء الإسلام العظيم وشريعته المباركة على يدي الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله ونزل القرآن بما تقدم من الآيات الكريمة وتؤكد على عقائدية ذلك ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

المحرَّم في الأُمَّة الإسلامية

لمَّا كانت مسألة الأشهر الحرم هي مسألة عقائدية دينية بحتة، وعادة عربية متوارثة ومحترمة في الجاهلية من قبل الإسلام، وجاء الإسلام العظيم وأقرَّهم عليها وزادها حرمة وعظمة، بما أكدت عليها الآيات والروايات التي أعطتها بعُداً عقائدياً زائداً على ما كانت عليه ومنعتهم من النسيء تقديراً واحتراماً لحرمتها، وسمَّت النسيء زيادة في الكفر، أي أنَّ عدم احترام المحرم كفر، ونسيئته كفر وزيادة لما يحمل من تلاعب بالدين من جهة، واعتداء على حرمات الناس في الشهر الحرام، فصار من حقنا أنْ نسأل؛ هل احترمت هذه الأُمَّة الإسلامية حرمة هذه الأشهر الحرم؟

سؤال مهم جداً حاول طمسه على مدى القرون الإعلام الأُموي الفاجر، الذي كان تحت سيطرة الحكام الفجرة منهم، لعدم إعطاء العلماء الإذن ببيان ما اقترفته أيديهم الآثمة من جرم فظيع، بحيث انتهكوا كلَّ الحرمات في الشهر الحرام، في أيام عاشوراء المأساة الخالدة.. ومن الحرمات التي انتهكوها:

- الحرمة الإلهية؛ لأنَّهم اعتدوا على وليِّ الله وخليفته المنصوب من قبله.
- الحرمة الإسلامية؛ لأنَّهم قتلوا خليفة المسلمين وإمامهم الشرعي، الذي كان أولى الناس بالناس.
- الحرمة القرآنية؛ فهم داسوا القرآن الناطق بحوافر خيول الأعوجية.
- الحرمة العربية؛ لأنَّهم قتلوا ومثلوا برأس العرب وسيدهم، لأنَّهم عبيد روم وليسوا من العرب أصلاً.
- الحرمة العشائرية؛ فهم اعتدوا على ثقل قريش، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وهم حرائر بني هاشم فخر قريش.
- الحرمة الإنسانية؛ بحيث ضيقوا على بضعة عشرات وهم ألوف مؤلفة ومنعوا عنهم حتى الماء، حتى كادوا أنْ يموتوا عطشاً، ورغم ذلك هجموا كقطعان الذئاب على أولئك النفر الكرام فقتلوهم جميعاً، بما فيهم النساء والأطفال والشيوخ ولم يرحموا أحداً أبداً.
- الحرمة الحقوقية؛ فكلُّ الشرائع والقوانين منذ القدم تقول بأنَّه للمعركة قوانينها وأخلاقياتها، فللضعيف حرمته، وللطفل، والمرأة، والشيخ الطاعن بالسن، والعبد الرقيق، وحتى للحيوانات حقوقها، فأولئك الجفاة الغلاظ داسوا على



كلِّ الحقوق في يوم عاشوراء.

- الحرمة الأخلاقية والأدبـيـة؛ لأنَّ للعرب آداباً وأعرافاً اجتماعية محترمة، كان عليهم أنْ يحترموها ويراعوها في ذلك اليوم الذي تصرفوا فيه كأنَّهم قطعان من الوحوش الكاسرة التي لا تعرف معنى من معاني القيم والأخـلاق، فلم يحترموا الأحياء ولا جثث الشهداء حيث تركوهم بعد أنْ مثلوا بهم وأخذوا رؤوسهم إلى سادتهم وقادتهم الأشقياء.

- وكلُّ ذلك جرى في شهر محرم الحرام، الذي حرَّم الله ورسوله والعرب وأعرافهم القتال فيه أشدَّ تحريم.

لماذا يا أُمَّـة الحبيب المصطفى صلَّى الله عليه وآله فعلتِ ما لم تفعله أُمَّة من قبل، إلَّا ما فعلته بنو إسرائيل بيحيى بن زكريا على نبينا وآله وعليه السلام؟

هل هذا جـزاء رسـول الله صلَّى الله عليه وآله فيكم، أو أنّ هذا أجر الرسالة الذي أمركم الله بدفعه بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾.[الشورى:٢٣]، هل هذا هو الجزاء الذي طالبكم به ربُّ العالمين؟

أمَا قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «المرء يحفظ في ولـده»؟ أهكذا تحفظون ولـد نبيّكم، تقتلونهم تحت كلِّ حجر ومدر، وتحفظون نساءكم في قصور فارهة، وتسبون بنات رسول الله من بلد إلى بلد على الجمال الهازلة؟

أمَا كان لكم مندوحة عن فعلتكم الشنيعة بابن بنت نبيّكم، لاسيما وأنَّه أعطاكم الكثير من الحلول، بل كلّ الحلول الممكنة، وأنتم تصرون على الذلِّ والإهانة، أو السيف والقتل؟

يا ويلكم - أيّتها العصابة المجرمة - ألم يكن شسع نعل خادمه جون، أو أسلم (واضح) التركي، أو وهب النصراني، أشرف من شرف سيدكم وأميركم ابن مرجانة، وأميره ابن ميسون النصرانية الكلبية؟

ألم تعرفوا مَنْ هذا الإمام الذي تقاتلونه؟

ألم تعرفوا مَنْ هؤلاء الرجال الذين تحاصرون؟

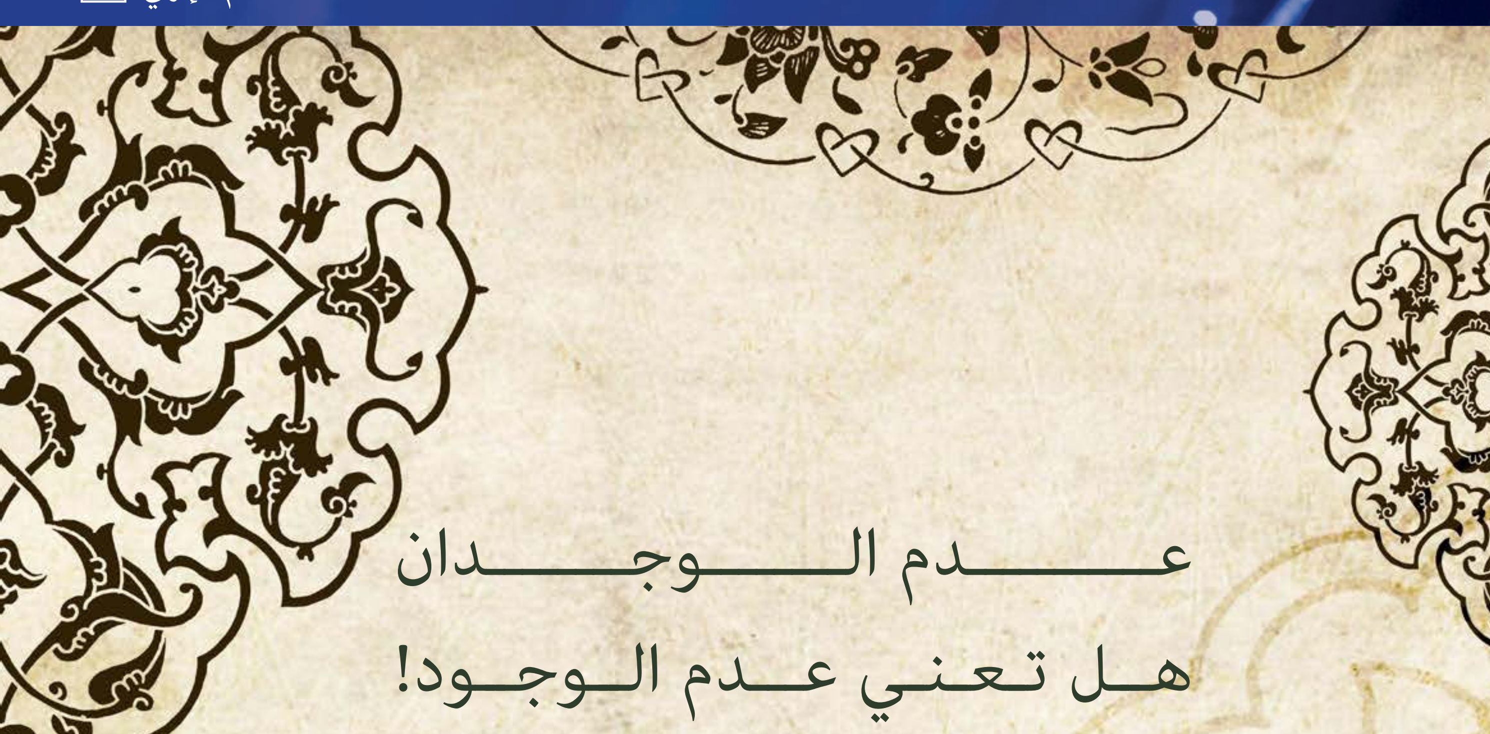
ألم تعرفوا مَنْ هي هذه العائلة الشريفة التي تسبون؟

بلى والله لقد عرفتم، ولكن كفرتم بعد إسلام، وجحدتم بعد علم ويقين، أنّكم تقاتلون خير أهل الأرض طراً، وخامس أصحاب الكساء، وسيد شباب أهل الجنة، وسبط نبيكم، وابن بنته سيدة نساء العالمين، وابن أميركم وخليفتكم وإمامكم أمير المؤمنين - هذا إنْ كنتم مسلمين أصلاً - وهو إمامكم بالنصِّ الجلي من جدّه، وهو رأس العرب وسيدها دون منازع.

أيّ جرائم اقتُرفت في الشهر الحرام، بحقِّ الإسلام والقرآن والإمام الأطيب الأطهر، على صعيد كربلاء!؟

ونختم هذا المقال المختصر بقول من عالم آل محمّد الإمام الثامن من أئمة المسلمين وهو ما رُوي بعدَّة طرق إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عليٍّ بن بابويه من أماليه بإسناده عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ! فَاسْتُحِلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا، وَهُتِكَتْ فِيهِ حُرْمَتُنَا، وَسُبِيَ فِيهِ ذَرَارِيُّنَا وَنِسَاؤُنَا، وَأُضْرِمَتِ النِّيرَانُ فِي مَضَارِبِنَا، وَانْتُهِبَ مَا فِيهَا مِنْ ثِقْلِنَا، وَلَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللَّهِ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا؛ إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا، وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ، أَوْرَثَتْنَا الْكَرْبَ وَالْبَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الِانْقِضَاءِ، فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ»، ثمَّ قال: «كَانَ أَبِي إِذَا دَخَلَ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ لَا يُرَى ضَاحِكاً، وَكَانَتِ الْكَآبَةُ تَغْلِبُ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْضِيَ مِنْهُ عَشَرَةُ أَيَّامٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ مُصِيبَتِهِ وَحُزْنِهِ وَبُكَائِهِ، وَيَقُولُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ». (بحار الأنوار:٤٤/٢٨٣).

بقلم: الشيخ حسين أحمد كريمو



عدم الوجدان هل تعني عدم الوجود!

هناك مقولة مشهورة تقول: إنّ عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود.

ومعنى هذه المقولة أنّ ما لم تجده أنت لا يعني أنّه غير موجود.

وهذه المقولة بهذا المعنى صحيحة في حق الناس محدودي العلم أو الذين علمهم كسبي.

أمّا في حق الله تعالى أو مَن علمه مِن الله، فهي غير صحيحة لأنّ عند الله عدم الوجدان يعني عدم الوجود.

وكذلك في حق من علمهم مطلق لدني من الله.

قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.[الذاريات:٣٦]

فقوله تعالى ﴿فما وجدنا﴾ يعني أنَّه لا يوجد فعلاً.

وفي جانب العلم فإنّ من لم يعلم شيئاً فهو جاهل به، وأمّا ما لم يعلمه الله فهو غير موجود.

ففي قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾.[البقرة:١٤٣]

فإنّ معناها أنّ الله تعالى كان يعلم أنّ منهم من سينقلب في مستقبل الأيام، ولم يكن يعلم أنّهم انقلبوا بمعنى أنّهم لم ينقلبوا بعد وليس أنَّ الله يجهل ذلك - والعياذ بالله - وهذا ما جاء في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله.

قيل يا بن رسول الله فلِمَ أمر بالقبلة الأُولى؟ فقال: لما قال عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ إلّا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أنْ علمناه سيوجد. (تفسير نور الثقلين:١/١٣٥).

وكذلك لما سأل يهودي أمير المؤمنين عمّا لا يعلمه الله فقال له عليه السلام: «إنّ الله لا يعلم له ولداً»، ومعنى كلامه هذا أنَّه لا يوجد لله ولد وليس أنَّ الله - والعياذ به - يجهل أنَّ له ولداً.

ففي كتاب التوحيد قال الشيخ لصدوق: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد الأشناني الرازي العدل ببلخ، قال: حدثنا علي بن مهرويه القزويني قال: حدثنا علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «إنّ يهودياً سأل عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: أخبرني عمّا ليس لله وعمّا ليس عند الله وعمّا لا يعلمه الله، فقال عليه السلام: «أمَّا ما لا يعلمه الله عزَّ وجلّ فذلك قولكم يا معشر اليهود: إنّ عزيراً ابن الله والله لا يعلم له ولداً، وأمَّا قولك ما ليس لله فليس لله شريك، وقولك: ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد»، فقال اليهودي: أنا أشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنّ محمّداً رسول الله.(التوحيد:٣٧٧).

بقلم: حسين الطفيلي



بعض من آداب المائدة

على الرغم من أنَّ مسألة الطعام هي تلبية لحاجة الجسد، إلَّا أنَّ الدين الإسلامي أحاطها بمجموعة من الآداب والسنن، وذلك لكي تؤتي ثمارها الصحية وتعود على الإنسان بمنفعته وفائدته.

أهمية الغذاء

قال الإمام عليٌّ عليه السلام: لاَ تَطْلُبُ الْحَيَاةَ لِتَأْكُلَ، بَلِ اطْلُبِ الأَكْلَ لِتَحْيَا. (ميزان الحكمة:٣/٩).

تأتي أهمية التغذية السليمة في كونها تعمل على تقوية الجسم والحفاظ على الصحّة البدنية والعقلية للإنسان، والتغذية السليمة هي وقاية أساسية من الإصابة بالعديد من الأمـراض، فكما أنّ للتغذية عناصرها لتحقيق هذا الهدف، كذلك للتغذية أُصولها وآدابها لتحقيق ذات الهدف.

وهنا أودّ التذكير ببعض الآداب والسلوكيات الشخصية في التعامل مع (الطعام) فمع بساطة هذه السلوكيات إلَّا أنّها مهمة في الوقاية من الإصابة بالأمراض.

غسل اليدين قبل تناول الطعام

يقول الإمام عليٌّ عليه السلام: ((مَنْ غَسَّلَ يَدَهُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ، بُورِكَ لَهُ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ وَآخِرِهِ، وَعَاشَ مَا عَاشَ فِي سِعَةٍ، وَعُوفِيَ مِنْ بَلْوَى فِي جَسَدِهِ)). (مستدرك الوسائل:١٦/٢٦٨، برقم [١٩٨٣٦]٨).

إنّ هذا السلوك لا يعدٌّ سلوكاً هامشياً بل هو من السلوكيات الأساسية في الصحة؛ ولذا اعتبرت منظمة الصحة العالمية يوم الخامس عشر من أكتوبر ليكون اليوم العالمي لغسل اليدين.

ويُعدُّ هذا السلوك من الأُمور التي تقي من الجراثيم، بل الخط الدفاعي الأول ضدَّ الجراثيم.

لذا يجب غسل اليدين قبل الطعام تحاشياً لتلويثه ببعض ما قد يضر، ووقاية المعدة من التهيج أو الالتهابات.

التسمية والدعاء قبل تناول الطعام

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا أَرَادَ يَطْعُمُ طَعَاماً فَأَهْوَى بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينِ غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ اللُّقْمَةَ إِلَى فِيهِ). (الكافي الشريف:٦/٢٩٣، ح٧).

فإنَّ ذكر الله لابُدَّ منه على كلِّ حال، وبخصوص الأكل فهذا يعني إقرار العبد بأنَّ كلَّ ما عنده هو من عطاء الله تعالى وأنّه غير غافل عن ذكر الله حتى في سدِّ شهوته.

فذكر البسملة في بداية الأكل ونهايته يحلل البركة فيه ويبعد الشيطان عنه بالإضافة إلى الحسنات التي يحصل عليها العبد.

فقد حثّت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على ذكر البسملة مستفيضة ومتواترة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: ((يَا عَلِيٌّ إِذَا أَكَلْتَ فَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، وَإِذَا فَرَغْتَ فَقُلْ: الْحَمْدُ للهِ، فَإِنَّ حَافِظِيكَ لاَ يَبْرَحَانِ يَكْتُبَانِ لَكَ الْحَسَنَاتَ حَتَّى تَبْعُدَهُ عَنْكَ)).(مكارم الأخلاق:١٤٢/١)

وعن الفضل بن يونس قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام وسمعته يقول وقد أتينا بالطعام: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً))، قُلْنَا: ما حدُّ هذا الطعام إذا وضع وما حدُّه إذا رُفع؟ فقال: «حَدُّهُ إِذَا وُضِعَ أَنْ يُسْمَى عَلَيْهِ، وَإِذَا رَفَعَ يَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهِ».(المحاسن:٤٣١/٢).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ((إِذَا وَضَعَتِ المَائِدَةُ حَفَّهَا أَرْبَعَةُ أَمْلاَكٍ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: بِسْمِ اللهِ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: بَارَكَ اللهُ لَكُمْ فِي طَعَامِكُمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ لِلشَّيْطَانِ: اخْرُجْ يَا فَاسِقُ لاَ سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا فَرِغُوا وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: قَوْمٌ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَأَدُّوا شُكْرَ رَبِّهِمْ، فَإِذَا لَمْ يُسَمِّ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ لِلشَّيْطَانِ: ادْنُ يَا فَاسِقُ فَكُلْ مَعَهُمْ، وَإِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمَ اللهِ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ قَوْمٌ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ فَنَسُوا رَبَّهُمْ)).(المحاسن:٢١٠/٢، ح٢٦٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إِذَا أَكَلْتَ الطَّعَامَ فَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَمَّى فِي طَعَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ لَمْ يَأْكُلْ مَعَهُ الشَّيْطَانُ وَإِذَا لَمْ يُسَمِّ أَكَلَ مَعَهُ الشَّيْطَانُ وَإِذَا سَمَّى بَعْدَ مَا يَأْكُلُ وَأَكَلَ الشَّيْطَانُ مَعَهُ تَقَيَّأَ مَا كَانَ أَكَلَ)).(المحاسن:٤٣٢/٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا أَرَادَ يَطْعَمُ طَعَاماً فَأَهْوَى بِيَدِهِ وَقَالَ بِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ اللُّقْمَةُ إِلَى فِيهِ)).(المحاسن:٤٣٥/٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَجْمَعَ عِيَالَهُ وَيَضَعَ مَائِدَتَهُ فَيُسَمُّونَ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِمْ وَيَحْمِدُونَ فِي آخِرِهِ فَتُرْفَعُ الْمَائِدَةَ حَتَى يَغْفِرَ لَهُمْ)).(وسائل الشيعة:٤٢٢/١٦).

الدعاء قبل الطعام

إنَّ هذا السلوك يُعدُّ أماناً للطعام، فحين نفتتح طعامنا بذكر الله وبحمده فإنَّنا نصبغه بصبغة الروحانية والإيمان ومن ثمَّ يكون مبعثاً للراحة والطمأنينة، ويستفيد منه الجسم أكبر فائدة.

((الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ، وَيُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْنِي وَيُفْتَقِرُ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا رَزَقْتَنِي مِنْ طَعَامٍ وَأَدَامٍ، فِي يُسْرٍ وَعَافِيَةٍ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ مِنِّي وَلاَ مَشَقَّةٍ)). (مكارم الأخلاق:١٤٤/١).

متى نأكل؟

وقت تناول الطعام عندما يشتهيه فلا يكون لمجرد التسلية أو الجوع الغرائزي النابع من الروائح الطيبة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ((كُلْ وأنتَ تَشتَهي، وأمسِك وأنت تَشتَهي)).(بحار الأنوار:٢٩٠/٦٢).

قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: ((لاَ تَجْلُسِ عَلَى الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ جَائِعٌ، وَلاَ تَقُمْ عَنِ الطَّعَامِ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، وَجُوِّدِ الْمَضْغِ، وَإِذَا نِمْتَ فَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْخَلاَءِ، فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ هَذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الطِّبِ)).(وسائل الشيعة:٤٠٩/١٦).

وهناك أربع قواعد تُعدُّ مفتاحاً للصحة أيضاً:

القاعدة الأُولى: إذا كنت جائع، تناول الطعام.

القاعدة الثانية: تناول ما تريد، وليس ما تعتقد أنَّه يجب أنْ تأكله.

القاعدة الثالثة: تناول طعامك بوعي، واستمتع بكلِّ لقمة.

القاعدة الرابعة: عندما تعتقد أنَّك شبعت، أوقف الأكل.

جملة من الآداب

روى إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال الحسن بن عليٍّ عليهما السلام: فِي الْمَائِدَةِ اِثْنَتَا عَشْرَةَ خِصلَةٍ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْرِفَهَا: أَرْبَعٌ مِنْهَا فَرْضٌ، وَأَرْبَعٌ سُنَّةٌ، وَأَرْبَعٌ تَأْدِيبٌ، فَأَمَّا الْفَرْضُ: فَالْمَعْرِفَةُ، وَالرِّضَا وَالتَّسْمِيَةُ وَالشُّكْرُ؛ وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَالْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، وَالأَكْلُ بِثَلاَثِ أَصَابِعٍ، وَلَعِقُ الأَصَابِعَ، وَأَمَّا التَّأْدِيبُ: فَالأَكْلُ مِمَّا يَلِيَكَ وَتَصغِيرُ اللُّقْمَةِ، وَتَجْوِيدُ الْمَضْغِ، وَقِلَّةُ النَّظَرِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ».(من لا يحضره الفقيه:٣٥٩/٣).

يفهم من الحديث ما يلي:

أ: حدّد الإمام الحسن عليه السلام الخصال في المائدة وعدّها اثنتا عشرة خصلة.

ب: أوجب عليه السلام على كلّ مسلم في حديثه معرفة هذه الخصال.

ج: حدّد الإمام الحسن عليه السلام أربع فرائض في

الطعام:

١. معرفة المنعم والحلال من الحرام في الأكل، وأنّ الله تبارك وتعالى هو الذي يرزق عباده.

٢. الرضا والتسليم بما رزقه الله عزّ وجلّ للعبد، فعلى المسلم أنْ لا يعترض على أكله مهما كان مقداره ونوعه.

٣. أنْ يبدأ المسلم بذكر الله تعالى لما فيه من فوائد جمّة ذكرناها سابقاً.

٤. من آداب الأكل هو شكر المنعم على ما أنعمه علينا، قال تعالى: {...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...}.[إبراهيم/٧]، فجعل الزيادة في الرزق مرهوناً بالشكر.

د: حدّد عليه السلام أربع سنن في الطعام:

١. الوضوء قبل الطعام: فالوضوء للطهارة، على أنّ الإنسان إذا أراد أنْ يبدأ بالأكل عليه أنْ يتنظف.

٢. الجلوس على الجانب الأيسر من الجسم، ولذلك لسهولة الأكل باليد اليمنى حيث وردت روايات نهت عن الأكل بالشمال.

عن محمد بن يعقوب عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسى، عَنْ سَمَاعَةَ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، أَوْ يَشْرَبُ بِهَا؟ فَقَالَ: «لَا يَأْكُلْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَتَنَاوَلْ بِهَا شَيْئاً».(الكافي الشريف:١٢/٣٠٣، برقم [١١٥٧٦/٣]).

٣. من السنة حثّه عليه السلام على الأكل بالأيادي وبالتحديد بالأصابع.

عن محمّد بن يعقوب، عـن مُـحَـمَّـدِ بْـنِ يَحْيى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَـنْ أَبِـي خَدِيجَةَ: عَـنْ أَبِـي عَـبْـدِ اللهِ عليه السلام (أَنَّـهُ كَـانَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِـعَ، وَأَنَّ رَسُـولَ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَأْكُلُ هكَذَا...). (الكافي الشريف:[٦/١١٧٠٢].

٤. حثّ عليه السلام على لعق الأصابع بعد الانتهاء من الأكل.

عن البرقي، عن ابن فضال وجعفر عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ لَعِقَ أَصَابِعَهُ فِي فِيهِ فَمَصهَا)).(المحاسن:٤٤٣/٢، ح٣١٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال: ((..إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَمَصَّ أَصَابِعهُ الَّتِي أَكَلَ بِهَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلّ: بَارَكَ اللهُ فِيكَ...)). (الخصال للصدوق:٦١٣/١).

تصغير اللقمة

وفائدة ذلك حتى يستوعبها اللعاب ويسهل هضمها، ويمكن اتباع القواعد التالية:

أ: قطع الطعام إلى قطع صغيرة.

ب: أكل الطعام قطعة قطعة وعدم وضع الطعام في الفم أكثر من قطعة في الوقت نفسه.

مضغ الطعام جيداً

عن محمّد بن جعفر البرسي، عن محمّد بن يحيى، عن سنان، عن يونس بن ظبيان، عن جعفر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قـال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((مَنْ أَرَادَ أَنْ لاَ يَضُرَّهُ طَعَامٌ فَلاَ يَأْكُلَ حَتَّى يَجُوعَ...، وَلِيَجِيدَ الْمَضْغَ...)). (مسند الإمام عليٍّ عليه السلام:١٣-٥٩٠٩/٣٩٦).

من المشاكل التي تصيب الإنسان هو الابتلاء بالأمراض والأسقام من الطعام، والأغذية، فلا سبيل له إلَّا الطبّ والطبيب، وأخذ الأدوية الصناعية أو الطبيعية، هذا فضلاً عن التزام الإنسان بالدواء في بعض الأحيان يكون مكلفاً.



فـحـثّ الإمــام أمـيـر الـمـؤمـنـين عـلـيٌّ عليه السلام على مضغ الطعام بشكل جيّد لعدم الإصابة بالأمراض من الأكل، فربّما أكلة منعت أكلات.

قـال الأصبغ بن نباتة: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لابنه الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ تَسْتَغْنِي بِهَا عَنِ الطِّبِّ»، فَقَالَ: «بَلَى يَا أَبَتِ»، إِلَى أَنْ قَالَ عليه السلام: «وَجَوِّدُ الْمَضْغِ». (الدعوات:٧٤/ فصل في خصال يستغنى بها عن الطب، ح١٧٣).

المضغ ليس مسؤولاً عن تفتيت الطعام فقط، ففيه فوائد أُخرى منها ما يلي:



أ: يعطي إشـارات للجسم لكي يستعد لاستقبال هذا الطعام عن طريق إفراز العصارات الهضمية.

ب: المضغ يبطئ من تناولك للطعام.

ج: يقلل من كمية الهواء الذي تبتلعه.

د: يجعلك أكثر وعياً بالإشارات التي تخبر معدتك بأنَّها على وشك الامتلاء.

هـ: يساعد على نزول قطع الطعام للمعدة بسهولة أكبر.

و: إذا لم يتم مضغ الطعام جيداً، تبقى قطع الطعام كبيرة ولا تُهضم تماماً، فيسبب في إيذاء المعدة.

لا تنظر للآخرين

عن الإمام الصادق عليه السلام في باب آداب الطعام في حديث طويل قال: «... وَأَمَّا التَّأْدِيبُ:... قِلَّةُ النَّظَرِ فِي وُجُوهِ النَّاسِ». (من لا يحضره الفقيه:٣/٣٥٩).

من الأداب أيضاً عدم النظر في وجوه الآخرين أثناء تناول الطعام، فذلك يشعرهم بعدم الارتياح، وبأنَّهم مراقبون بما يأكلون؛ ولذا علينا أنْ نتبع بعض الآداب لتجنب هذه الحالة منها ما يلي:

أ: النظر إلى الطعام أولاً.

ب: عدم مراقبة أكل من جلس على المائدة.

ج: عدم التصوير أثناء تناول الطعام.

عدم التجشؤ أمام الناس

عن أبي جحيفة قال: أتيت رسول الله وأنا أتجشأ، فقال: يا أبا جحيفة اخفض جشاءك فإنَّ أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في يوم القيامة.

فالتجشّؤ ردّة فعل طبيعيّة للجسم يختبرها الجميع عدّة مرّات، يهدف الجسم من خلالها إلى إخراج الهواء الزّائد من المعدة.

والتجشّؤ نتيجةً لتمدّد المعدة بسبب كثرة الغازات داخلها. إنّ مُعظم حالاته تحصل نتيجة لما يسمّى بابتلاع الهواء.

لكثرة التجشّؤ أسباب كثيرة جدّاً، فأيّ سبب يؤدّي إلى ازدياد الهواء المُبتَلَع قد يؤدّي إلى ذلك، ومن هذه الأسباب ما يأتي:

أ: الأكل، أو الشّرب بسرعة.

ب: الشّرب باستخدام الماصّة.

ج: التكلّم أثناء تناول الطّعام.

لكن هنالك سلوكيّات عدّة من شأنها التّقليل من كثرة التجشّؤ منها ما يلي:

أ: تناول الطّعام والشراب ببطء للعمل على تقليل كميّة الهواء المُبتَلَع.

ب: تجنّب تناول المشروبات الغازيّة المُحتوية على ثاني أُكسيد الكربون.

ج: الإقلاع عن التّدخين؛ لأنَّ شرب السّجائر يُسهم في إدخال كميّة أكبر من الهواء إلى المعدة.

د: التقليل من مضغ العلكة وتناول الحلوى الصلبة.

عدم النفخ على الطعام

عن مُحَمَّد قال: حَدَّثَنِي مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليه وآله نَهَى عَنْ أَرْبَعِ نَفَخَاتٍ: فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ، وَفِي الرُّقَا، وَفِي الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ)).(الجعفريات:١/٣٨).

قـال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في حديث طويل: ((... لاَ يَنْفَخُ الرَّجُلَ فِي مَوْضِعِ سُجُودِهِ، وَلاَ يَنْفَخُ فِي طَعَامِهِ، وَلاَ فِي شَرَابِهِ، وَلاَ فِي تَعْوِيذِهِ...)). (الخصال للصدوق:١/٦١٣).

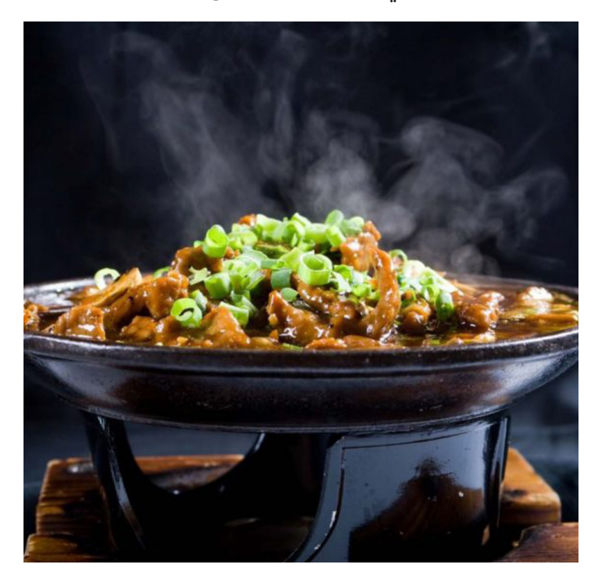
حيث إنَّ فـي عملية النفخ نقل للفيروسات والميكروبات إلى الطعام.

ذكـرت دراسـة نشرت فـي دوريـة الطب لجامعة مينيسوتا في عام ٢٠١٢م التفسير العلمي لأضرار النفخ في الطعام والذي وضح أنَّ البخار الصادر من الأطعمة والمشروبات الساخنة يحتوي على بخار الماء (H_2O) وعند النفخ في الطعام نطلق غاز(CO_2) من الفم، وفقاً للتفاعل الكيميائية؛ فإنَّ تفاعل ثاني أكسيد الكربون مع بخار الماء يؤدي إلى تكوين مركبات حمض الكربونيك وهي حمضية والكثير منا قد لا يدرك أهمية الحفاظ على التوازن الحمضي/ القاعدي في الدم. فمن عجائب الله في خلق الإنسان أنَّ الجسم يمتلك قدرة مدهشة على التعامل مع كلِّ تغير درجة الحموضة سواء كان كبيراً أم صغيراً من خلال عمل الكلى.

فعند النفخ في الطعام وتفاعل ثاني أكسيد الكربون مع بخار الماء يؤدي إلى ارتفاع مستوى الحموضة في الدم والذي يؤثر في آليات التوازن على درجة حموضة الجسم ومجموعة من المشاكل مثل التعب، الإجهاد، النعاس، الغثيان، تقليل ضغط الدم وقد يتسبب ذلك في الإصابة بغيبوبة. كما أنَّه يؤدي إلى نقل مجموعة من الميكروبات والبكتريا الموجودة في الجهاز التنفسي العلوي إلى الأطعمة التي تقوم بتناولها وخصوصاً في حالة الإصابة بالإنفلونزا أو السعال يؤدي إلى انتقال الجراثيم والفطريات بسهولة إلى الطعام الذي تتناوله. هذه البكتريا تتحول إلى عامل خطر على صحة الإنسان يمكن أن يؤدي إلى الإصابة بأمراض سرطانية مختلفة.

طرق تجنب النفخ في الطعام

- يعتمد النفخ في الطعام الساخن على درجة الحرارة ومحتوى الرطوبة في العناصر الغذائية. فعندما نمتلك أجزاء صغيرة من الطعام يصبح لدينا مساحة وكتلة أقل وهذا يعني حرارة أقل وتقيل الاتصال بين الهواء البارد والساخن؛ لذا إنْ كان لدينا وجبة ساخنة يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر في مساحات أوسع تساعد في التبريد بشكل أفضل وأكثر صحة.
- يمكن وضع الطعام في وعاء أوسع لكي يتم تبريده بسرعة أكبر ودون حدوث أيّ أضرار على الصحة.
- محاولة تقليل كثافة الطعام من الطرق السهلة لتبريد الطعام الساخن، فمثلاً الفلفل الأحمر يحتاج إلى وقت أطول للتبريد عن حساء الدجاج.
- الحاويات التي يتم تخزين الطعام فيها، يمكن نقل الطعام من الحاويات البلاستيك إلى الفولاذ المقاوم للصدأ والحرارة أوسع للتبريد بشكل أفضل.
- استخدام مقالي بعمق أقل تسمح للحرارة بالخروج



بشكل أسرع من المقالي العميقة.

عدم تناول الطعام الساخن

لما له من تأثير على الغشاء المخاطي للجهاز الهضمي.

عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: ((أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِطَعَامٍ حَارٍّ جِدّاً، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا كَانَ اللهُ لِيُطْعِمَنَا النَّارَ، أَقِرُّوهُ حَتَّى يَمْكُن، فَإِنَّ الطَّعَامَ الحَارَّ جِدّاً مَمْحُوقُ البَرَكَة، لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ)). (المحاسن:٢/٤٦، ح١١٦، باب الطعام الحار ١١٥).

وعن ابن فضال، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: ((أُتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِطَعَامٍ حَارٍّ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُطْعِمْنَا النَّارَ، نَحوهُ حَتَّى يَبْرَدَ، فَتَرَكَ حَتَّى بَردَ)). (المحاسن:٢/٤٦، ح١١٥).

وعن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ((الحَارُّ غَيْرُ ذِي بَرَكَةٍ وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ)). (المحاسن:٢/٤٦، ح١١٧).

من أضرار الأكل الساخن هو ما يلي:

- حرق اللسان والحلق والمريء وعلى المدى البعيد قد يُسبب سرطان اللسان، وسرطان المريء.
- تضرر اللثة وحدوث تقرحات نتيجة تضرر الخلايا والأنزيمات من الأكل الساخن.
- إصابة أضرار كبيرة بالجهاز المناعي، ممّا يعرض

الجسم للعديد من الأمراض.

- حدوث تلف في الغشاء المخاطي المبطن لجدار الأمعاء الدقيقة نتيجة الحرارة العالية في الأكل.

- حدوث إمساك وكسل في الجهاز الهضمي.

- اضطراب في عضلة القلب.

فللوقاية من مضار الأكل الساخن يجب انتظاره ليبرد قليلًا، والتحلي بالصبر حتى في حال الجوع الشديد.

طريقة الجلوس

عَـنْ أَبِـي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَـالَ: «قَـالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَلْيَجْلِسْ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، وَلَا يَضَعَنَّ أَحَدُكُمْ إِحْدى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرى، وَلَا يَتَرَبَّعْ؛ فَإِنَّهَا جِلْسَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَمْقُتُ صَاحِبَهَا».(الكافي الشريف:٣٠٢/١٢، ح١١٥٧٣/١٠).

بعض النصائح في طريقة الجلوس

أ: يجب أنْ يكون الجلوس في وضع مستقيم ودون تكلف.

ب: ينقل الطعام إلى الفم ولا يقرب الفم إلى الطبق أي يجب عدم الانحناء أثناء تناول الطعام.

ج: يجب عدم الارتكاز على المرفق على المائدة أثناء تناول الطعام وأنْ يبقى المرفق إلى جانب الجسم حتى لا يتضايق الشخص الجالس بالجوار.

د: لا تتعجل في تناول الطعام، فهذا الوقت مخصص للطعام كما قال الإمام الصادق: «أطيلوا الجلوس على الموائد، فإنَّها ساعة لا تحسب من أعماركم».

الأكل بصورة عائلية

عن النبيّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله قال: ((الجَماعَةُ بَرَكَةٌ، وطَعامُ الواحِدِ يَكفي الاِثنَينِ، وطَعامُ الاِثنَينِ يَكفي الأَربَعَةَ)). (الجعفريات:١٥٩).

عن سهل بن زيـاد عن ابن شمون عن الأصـم عن مسمع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَجْمَعُ عِيَالَهُ وَيَضَعُ مَائِدَتهُ فَيُسَمُّونَ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِمُ وَيَحْمِدُونَ فِي آخِرِهِ فَتَرْفَعُ المَائِدَة حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمُ)). (وسائل الشيعة: باب استحباب الاجتماع على أكل الطعام،٤٢٢/١٦، ح٣).

وفي هذا الجانب فوائد علمية ونفسية، ومنافع إيجابية لصحة الإنـسـان، ذكـره الباحثون حيث إنّ اجتماع أفراد العائلة لتناول وجبات الطعام بشكل منتظم خـلال أيـام الأسـبـوع، من شأنه أنْ يحسن العادات الغذائية عند الأبناء المراهقين.

كذلك كشفت دراسة حديثة أنّ تناول الطعام مع العائلة يعدُّ عنصراً مهما في ضمان سعادة الأطفال.

لذا علينا أنْ نحرص على ما يلي:

أ: تناول الطعام مع أفراد العائلة.

ب: عدم الاشتغال بأعمال أُخرى تشغلنا عن تناول الطعام مع أفراد العائلة.

ج: التعاون بين أفـراد العائلة في إعـداد الطعام، وتجهيز المائدة.

التحميد بعد الانتهاء من الأكل

قال النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله: ((إِذَا رُفِعَتِ المَائِدَةُ فَقُلِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» اَللَّهُمَّ اجْعَلْهَا نِعْمَةً مَشْكُورَةً)). (مكارم الأخـلاق:٢٧. بحار الأنوار:٣٨١/٦٦).

العملية النهائية في تناول الطعام هو الحمد والشكر لله تعالى وشكره على النعمة.

وقد حثّت الروايات المستفيضة والمتواترة على شكر المنعم، كما جاء عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله إذا رفعت المائدة على الإنسان أنْ يحمد الله تعالى.

مع أنّ شكر الله تعالى حقّ شكره على عظيم نعمه وخيره لا تكون فقط بتحريك اللسان، بل حقيقة الشكر لله سبحانه تنبع من علم العبد، الفقير في كلِّ شيء، بأنّه بحاجة مستمرّة لتوالي النعم عليه من الغني في كلِّ شيء، وأنْ يقطع اليقين بأنّ كلَّ ما يتقوّم به هذا العبد الفقير من مقوّمات الحياة: المأكل والمشرب والملبس، قيامه وقعوده، نومه واستيقاظه...، هي من مالك السماوات والأرضين ربِّ العالمين.

إنَّ من الحقوق الإسلامية حقّ شكر الإنسان الذي أكرمنا، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: ((أَمَّـا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَـأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ، وَتُكْسِبَهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَة، وَتُخَلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلَانِيَّةً، ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُكَافَأَتِهِ يَوْماً كَافَيْتهُ)). (الخصال:٥٦٨/١).

فإذا كان الإنسان لابُدَّ أنْ يشكر مخلوقاً آخر كجنسه وجعله المعصوم عليه السلام من الحقوق في الشريعة الإسلامية فما بال العبد بشكر المعبود للنعم التي أعطاه إياه.

* رضي منصور العسيف



المجلس الحسيني منهج تربوي

أولاً: صاحب العزاء

إنّ من يقدَّم له العزاء في هذه المواسم بالدرجة الأولى، هو بقية الماضين منهم، ألا وهو صاحب الزمان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، علينا أنْ نحاول استحضار درجة الألم الذي يعتصر قلبه الشريف روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وذلك بأنّه الخبير بما جرى على جدّه الحسين عليه السلم في واقعة الطف الأليمة.

إذ إنّ ما وصل إلينا رغم فداحته لا يمثّل إلّا القليل بالنسبة إلى ما جرى على آل الرسول صلَّى الله عليه وآله، ومن هنا يُعدّ إمامنا المهدي عليه السلام من البكّائين، ولك أنْ تتصوّر حال من يندب جدّه الشهيد في هذه القرون المتطاولة.

ثانياً: تمنّي الولاية

إنّ البعض ينظر إلى ما جرى في واقعة الطف وكأنّه ملف فتح ليختم، والحال أنّنا مأمورون بالتّأسّي بالنّبيّ الأكرم وآله البررة صلَّى الله عليه وآله ومنهم سيّد الشهداء عليه السلام، رفضاً للظلم، وذكراً لله تعالى على كلِّ حال، وفناء في العقيدة، واستقامة في جهاد الأعداء، وبصيرة في فهم حدود الشريعة.

فإنّ ضريبة تمنّي الكون معهم من أجل نصرتهم، هو السعي العملي للتشبّه بهم في الحدود المتاحة الممكنة، في أيّ موقع من مواقع الجهاد في الحياة.

ثالثاً: التكليف

إنّ من الملفت حقّاً تنوّع العناصر التي شاركت في واقعة الطف.

فمنهم الشيخ الكبير كحبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله تعالى عليه.

ومنهم الطفل الرضيع، ومنهم الشاب في ريعان شبابه كعليٍّ الأكبر والقاسم رضوان الله تعالى عليهم جميعاً.

ومنهم العبد الأسود كجون، ومنهم النساء اللواتي شاركن في قسم من المعركة، وما بعد المعركة كعقيلة الهاشميين زينب الكبرى عليها السلام.

أليس في ذلك درس للجميع بأنّ التكليف لا يختصّ بفئة دون فئة أُخرى، وأنّ الله تعالى يريد من كلِّ واحد منّا أنْ يكون رافعاً للواء التوحيد أينما كان؟!

رابعاً: التوجّه إلى العزاء

لئن كانت العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك محطّة تركيز على العلاقة الخاصة مع ربّ العالمين، من الزاوية الفردية للعبادة.

فـإنّ العشرة الأُولــى من شهر محرّم الحرام، تمثّل محطّة تركيز أيضاً على تلك العلاقة من الزاوية الاجتماعية للعبادة، تأسّياً بسيّد الشهداء عليه السلام الذي مارس أرقى صور العبودية لربّ العالمين، من خلال استنقاذ العباد من الجهالة وحيرة الضلالة، مجسّداً بذلك شعار إحياء الخلق، لأنّهم عباد الله.

وأحبّ الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعياله.

خامساً: حق الإمام عليه السلام

إنّ حقّ الحسين عليه السلام عظيم على الأمّة جمعاء، لأنّـه أحـدث بشهادته هـزّة عنيفة أيقظت الأُمّة من سباتها.

وأيُّ سبات أعظم من أنْ يستبدل خير الخلق إلى الله تعالى في زمانه، بشارب الخمور ومستحلّ الحرمات زاعماً إمرة المؤمنين!

ومـا آل إليه أمـر الأُمّــة، كانت نتيجة طبيعية لمخالفة المنهج الربّاني الـذي رسمه الله تعالى للأُمّة يوم الغدير.

سادساً: حبُّ الحسين عليه السلام

إنّ من أعظم وظائف المحبّين في هذه الأيام، هو تجسيد الحبّ لا من خلال مظاهر العزاء فحسب بل من خلال الترجمة العملية لهذا الحبّ.

بل من خلال الالتزام بمنهج المحبّ، إذ الحبّ ليس إلَّا التجانس بين المحبّ والمحبوب، وهذا التجانس لا يتمّ بالدعوى المجرّدة، أو بلقلقة لسان، بل بمحاولة التقريب بين الـذات المحبة والـذات المحبوبة في الصفات والملكات.

وإنّ أعظم قربان يُقرّب إلى الله تعالى في هذه الأيّام، هو نفي أنانية النفس الأمّارة؛ اجتثاثاً لملكة خبيثة، أو إقلاعاً عن منكر نعكف عليه.

سابعاً: البكاء على الحسين عليه السلام

إنّ البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام يُعدّ مشاطرة لجميع الأنبياء والأوصـيـاء في تأثّرهم بمصيبة الحسين عليه السلام.

إذ لم يتحقّق على وجه الأرض منذ أنْ خلق آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، كارثة جامعة لكلِّ صور المصيبة في النفس والعيال حتى في الطفل الرضيع كمصيبة الحسين عليه السلام.

ومن المعلوم أنّ هذه الظلامة قائمة، لم يتحقق القصاص منها قبل خروج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّ مرور الليالي والأيام لا يخفّف ثقل هذا الرزء الجلل الذي اقشعرّت له أظلّة العرش قبل أركان الأرض.

ولا ننسى أنّ صاحب دعاء عرفة بعرفانه البليغ لربّ العالمين، هو الذي وطأته الخيل بحوافرها، وتُرك على رمضاء نينوى بلا غسل ولا كفن!!

رزقنا الله تعالى طلب ثـأره مع قيام قائمهم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ثامناً: الإطاعة لأمر المولى

إذا أردنا أنْ نصف ما جرى في كربلاء بعبارة موجزة، فـإنّ من خير ما يُقال في هذا المجال: إنّ الذين حضروا تلك الواقعة لم تبقَ لهم ذوات حاكمة في قبال مرضاة الله سبحانه وتعالى.

وهـذا هو مقام الفناء في الله، الـذي طالما طرحه القوم نظرية في عالم التصوّر، إلَّا أنّها تحقّقت على صعيد كربلاء في فتية صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه.

تاسعاً: الإخلاص

إنّ الذين ضحّوا بأرواحهم للإسلام مع الحسين عليه السلام كانوا من شرائح مختلفة.

فمنهم مـن هـو قديم العهد فـي الـوفـاء لـربِّ العالمين كحبيب بن مظاهر، ومنهم من هو جديد العهد بالهداية كالحرّ بن يزيد، ولكنَّ العاقبة كانت واحـدة ألا وهي الاستقرار في مقعد الصدق عند مليك مقتدر، ممّا يدفع أحدنا لعدم اليأس مهما غرق في بحر المعاصي، فإنّ الأُمور بخواتيمها.

عاشراً: إكمال القابليات

إنّ دور الإمـام في قيادة الأُمَّـة يتجلّى من خلال واقعة الطف أيضاً.

فإنّ النفوس الصالحة من أصحابه الميامين لم تكن لتصل إلى ملكة الرشد والكمال الفعلي إلَّا من خلال رعايته وتربيته الروحية والعقائدية.

وهكذا لو ثُنيت الـوسـادة للمعصوم عليه السلام في الأُمَّة، لحوّل الطاقات الكامنة فيها إلى ملكات فعلية، تتجلى في التضحية والإيثار في سبيل المبدأ.

ومن هنا يشتدّ أسفنا لما وقع من الظلامة على أوصياء النبيّ صلَّى الله عليه وآله بتنحيتهم عن هرم الهداية والإرشاد بشتّى صور الظلم.

حادي عشر: صور للفداء

هنالك صور من التضحية والفداء، يقف الإنسان أمامها مدهوشاً، فهذا وهب بن عبد الله يُقاتل مع الحسين عليه السلام ثمّ يسأل أُمّه: يا أُمّاه أرضيتِ؟!

فتقول: ما رضيت أو تُقتل بين يدي الحسين عليه السلام، ثمّ ذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فبصر بها شمر فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه، فشدخ رأسها وقتلها وهي أوّل امرأة قُتلت في معسكر الحسين عليه السلام.

ثاني عشر: الولاء

تأمّل في الـولاء المذهل لولي الأمـر، حتى في اللحظات الأخيرة من الحياة التي يذهل فيها العبد عن كلِّ شيء:

فهذا حبيب بن مظاهر يدنو من مسلم بن عوسجة ليسمعه يقول بصوت خفي: أوصيك بهذا! وأشار إلى الحسين عليه السلام، فقاتل دونه حتى تموت.

فقال له حبيب: لأنعمنّك عيناً، ثمّ مات رضوان الله تعالى عليه.

وهذا أبو ثمامة الصيداوي يقول للحسين عليه السلام: أحـبّ أنْ ألقى الله ربّـي وقـد صلّيت هذه الصلاة، فقال الحسين عليه السلام: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين».

فصلّى الحسين عليه السلام بهم صلاة الخوف.

وكان سعيد بن عبد الله الحنفي أمام الحسين عليه السلام يقوم بين يديه كلّما أخذ الإمام عليه السلام يميناً وشمالاً في صلاته، ويتلقّى سهام الأعداء فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف.

وهذا جون مولى أبي ذر يقول للحسين عليه السلام: يا بن رسول الله! أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، والله إنّ ريحي لنتن، وإنّ حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفس علَيّ بالجنة، فتطيب ريحي ويشرف حسبي، ويبيض وجهي! لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

وهذا شاب قُتل أبوه في المعركة، وكانت أُمُّه معه، فقالت له أُمُّـه: اخـرج يا بني! وقاتل بين يدي ابن رسول الله.

فخرج فقال الحسين عليه السلام: هذا شاب قُتل أبـوه، ولعلّ أُمَّـه تكره خروجه، فقال الشاب: أُمِّـي أمرتني بذلك.

وقاتل حتى قُتل وحزّ رأسه ورمي به إلى معسكر الحسين عليه السلام، فحملت أُمُّـه رأس ولدها، وقالت: أحسنت يا بني! يا سرور قلبي ويا قرّة عيني.

ثالث عشر: استمرار المعركة

يظنّ البعض أنّ مسألة النهضة الحسينية واقعة تاريخية، انتهت بموت العناصر المتواجهة فيها، وهذا خطأ جسيم.

فكما أنّ تاريخ المواجهات لم يمت طوال التاريخ بين الأنبياء وأعدائهم، ومن هنا جعله القرآن عبرة لأُولي الألباب، فكذلك قضية الحسين عليه السلام خـالـدة، لأنّ منهجه (منهج المواجهة مع الظلم الفكري والعملي) ما زال حيّاً ماثلاً للجميع.

فمتى مات الباطل، لتموت المواجهة معه؟

رابع عشر: رمز الطاعة

إنّ الحسين عليه السلام في زمان أخيه الحسن عليه السلام كان رمـزاً لطاعة إمام زمانه، رغم أنّه يشترك مع أخيه في وصف السيادة لأهل الجنة، ولهذا نراه يتعامل مع أخيه الإمام معاملة المأموم.

وهذا درس في زماننا المعاصر، وهو أنْ نعيش حالة الطاعة المطلقة لبقية الماضين من سلسلة الأئمة الاثني عشر.

وثمرتها في زمان الغيبة، هو الرجوع إلى المجتهد: الصائن لنفسه، والمطيع لمولاه، والمخالف لهواه، كما ورد في الحديث الشريف.

خامس عشر: البعد عن الولاية وآثارها

إنّ الحسين عليه السلام بحركته الخالدة التي تعرّض فيها هو وعياله لما قلّ مثيله في التاريخ سواء قبل الاستشهاد وحينه وبعده، أراد أنْ يبيّن للأُمَّة ثمرة الغرس الذي نشأ بعيداً عن: نمي الغدير، ودوحة المباهلة، وواحة الثقلين.

ولولا هذه الهزّة العنيفة لضمير الأُمَّـة، لسارت الأمور في مجرى آخر لا يعلم عاقبته إلّا الله تعالى.

ومن هنا نعلم معنى قول النبيّ صلَّى الله عليه وآلـه: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَـا مِـنْ حُسَيْنٍ». (الإرشـاد للمفيد:٢/١٢٧).



كتابة التاريخ الكاذب برئاسة معاوية

قاد معاوية القاسطين في معركة صفين ضد الإمام عليٍّ عليه السلام، والتي انتهت بالتحكيم السلبي، فضلاً عن شن الغارات على المدن التي كانت تحت خلافة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام؛ فما إنْ استشهد أمير المؤمنين عليه السلام حتّى انتقل معاوية من حربه العسكرية الباغية ضدَّ خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى حربه الإعلامية. (وقعة صفين. كتاب الغارات).

فاتخذ معاوية سلسلة من الإجراءات من أجل السيطرة على نفوس الناس، منها ما يلي:

أولاً: البراءة من الإمام عليٍّ عليه السلام

كان معاوية قد أوجد سُنة سبِّ الإمام عليٍّ عليه السلام في حياة الإمام عليه السلام، حيث قنت عليه، ولعنه بالصلاة، وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن والحسين وابن عباس والأشتر النخعي. (شرح نهج البلاغة:١٦/١٣٧).

ولذا كان من شروط الإمام الحسن عليه السلام في معاهدة وقف القتال على معاوية عدم سبِّ الإمام عليٍّ عليه السلام، إذ جاء: «ألا يتبع أحداً بما مضى، ولا ينال أحداً من شيعة عليٍّ بمكروه، ولا يذكر عليّاً إلاّ بخير». (مقاتل الطالبين:٧٥).

إلاّ أنّ معاوية لمّا تولى الحكم تجاوز الحدّ ليس فقط بسبِّ الإمام عليٍّ عليه السلام بل جعل البراءة من الإمام من المسائل الّتي تزكي الفرد أو تتهمه. (شرح نهج البلاغة:٤/٥٦).

وكان معاوية يقول في آخر خطبة الجمعة: (اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً)؛ وإنّه كتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر، إلى خلافة عمر بن عبد العزيز. (شرح نهج البلاغة:٤/٥٧).

بل إنّ لعن الإمام عليٍّ عليه السلام في موسم الحج أصبح من المستحبات. (شرح نهج البلاغة:٤/٥٨).

وكان خالد بن عبد الله القسري والي العراق لهشام بن عبد الملك يقول في خطبته: (اللهم العن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صهر رسول الله على ابنته، وأبا الحسن والحسين! ثمّ يقبل على الناس ويقول: هل كنيت!). (الكامل في اللغة والأدب:٤١٤).

وكانت جماعة من بني أُمية قالت لمعاوية

بعد سنين من حكمه: (إنّك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً!). (شرح نهج البلاغة:٥٧/٤).

وقال الجاحظ: (وما كان عبد الملك بن مروان ... ممّن يخفى عليه فضل عليٍّ عليه السلام، وأنّ لعنه على رؤوس الأشهاد، وفي أعطاف الخطب، وعلى صهوات المنابر ممّا يعود عليه نقصه، ويرجع إليه وهنه، لأنّهما جميعاً من بني عبد مناف، والأصل واحد، والجرثومة منبت لهما، وشرف عليٍّ عليه السلام وفضله عائد عليه، ومحسوب له، ولكنّه أراد تشييد الملك وتأكيد ما فعله الأسلاف، وأن يقرر في أنفس الناس أنّ بني هاشم لاحظّ لهم في هذا الأمر، وأنّ سيدهم الّذي به يصولون، وبفخره يفخرون، هذا حاله وهذا مقداره، فيكون من ينتمي إليه ويدلي به عن الأمر أبعد، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح). (شرح نهج البلاغة:٥٨/٤).

وكان هذا الأمر قد تنبأ به الإمام عليٌّ عليه السلام إذ قال لأصحابه: «أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّءُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ». (نهج البلاغة:٩٢).

وبعدما تولّى معاوية الأمر كتب كتاباً إلى جميع الولايات جاء فيه: (أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته). (كتاب سليم بن قيس:٢٧٠).

يقول المدائني: (فقامت الخطباء في كلِّ كورة، وعلى كلِّ منبر يلعنون عليّاً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته). (شرح نهج البلاغة:٤٤/١١).

قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي (ت٢٠٤هـ): (إنّ بني أُمية منعوا من إظهار فضائل الإمام عليٍّ عليه السلام، وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتّى أنَّ الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبي زينب). (شرح نهج البلاغة:٧٣/٤).

وروى عطاء، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام يوماً إلى الليل، وأنَّ عنقي هذه ضربت بالسيف). (شرح نهج البلاغة:٧٤/٤).

وروى أبو غسان البصري: إنّ عبيد الله بن زياد بن أبيه بنى في البصرة أربعة مساجد تقوم على بغض الإمام عليٍّ عليه السلام والوقيعة به وهي مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلافين على فرضة البصرة، ومسجد في الأزد). (شرح نهج البلاغة:٩٤/٤).

ولمّا تولى المغيرة بن شعبة الكوفة لمعاوية، أمر حجر بن عدي أنْ يقوم في الناس ويلعن الإمام عليّاً عليه السلام، فأبى ذلك فأخذ يهدده، فقام حجر وقال: (أيها الناس إنّ أميركم أمرني أنْ ألعن عليّاً فالعنوه، ويقصد المغيرة باللعن). (شرح نهج البلاغة:٥٨/٤).

وقرّر زياد بن أبيه يوماً أنْ يستعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من الإمام عليٍّ عليه السلام، وأنْ يقتل كلَّ من امتنع من ذلك، فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون ومات. (شرح نهج البلاغة:٥٩/٤).

ومن الذين عملوا بوصايا معاوية عمرو بن ثابت أخو زيد بن ثابت، وكلاهما معادٍ للإمام عليٍّ عليه السلام، حيث كان عمرو أيام معاوية يركب ويدور في قرى الشام، ويجمع أهلها ويقول: (أيّها الناس، إنّ عليّاً كان رجلاً منافقاً، أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، فالعنوه، فيلعنه أهل تلك القرية)، ثمّ يسير إلى قرية أُخرى وهكذا. (شرح نهج البلاغة:١٠٣/٤).

ثانياً: افتعال فضائل لعثمان بن عفان

لقد أحسن خصوم الإمام أداء المهمة الّتي أوكلت إليهم، حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه. (شرح نهج البلاغة:٤٤/١١).

لمّا كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلِّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه. (شرح نهج البلاغة:٤٥/١١).

بل وصل الأمر بخلق أحاديث في فضائل أبي بكر وعمر، وذلك من أجل تنقيص مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، باعتبار أنّ فضائله قد

يشترك معه غيره، فلا تكون فضيلة له وحده.

ومن بين تلك المناقب فضيلة (ذو النورين) أي زواجه من ابنتين للنبيّ صلَّى الله عليه وآله.

حيث أورد الكتّاب والباحثون بهذا الخصوص الردود على أنّ عثمان لم يتزوج بنات النبيّ صلَّى الله عليه وآله بل كانتا ربائبه صلَّى الله عليه وآله، أي قام النبيٌّ صلَّى الله عليه وآله بتربيتهن.

ثالثاً: افتعال فضائل لأبي بكر وعمر ولسائر الصحابة مقابل فضائل الإمام عليٍّ عليه السلام

جاءت المرحلة الأخيرة حيث شكّل معاوية لجنة من مجموعة من الصحابة كعمرو بن العاص وأبي هريرة، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير. (شرح نهج البلاغة:٤/٦٣).

فكانت مهمة هذه اللجنة ما يلي:

١. افتعال فضائل للصحابة.

٢. وضع فضائل للصحابة مقابل فضائل الإمام عليٍّ عليه السلام.

٣. افتعال مثالب للإمام عليٍّ عليه السلام.

ولذا كان لكلِّ واحد من هؤلاء دور في تنفيذ أمر معاوية!

فعمرو بن العاص أحد الذين ولـدوا من زواج الرهط، وهو اجتماع عدّة رجال على امرأة واحدة، فإذا ولدت ألحقت الوليد بأيهم شاءت.

وكانت أُمٌّ عمرو بن العاص تدعى النابغة بنت حرملة من تلك النساء، فلمّا ولدت عمرواً ألحقته بالعاص بن وائل، وقد سأله سائل عن أُمِّه فقال: سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة، أصابتها رمـاح العرب فبيعت بعكاظ، واشتراها الفاكه بن المغيرة وباعها لعبد الله بن جدعان ثمّ صارت إلى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت فإنْ كان جعل لك شيئاً فخذه.

ويقال إنّ أُمّه من أصحاب الرايات وقد اختلف فيه عشرة من الرجال، فنسبته أُمُّـه إلى العاص بن وائل بينما كان عمرو أشبه بأبي سفيان، ولمّا سُئلت قالت: لأنّ العاص كـان ينفق علَيّ، وأبو سفيان شحيح.

وكـان عمرو من أشد المشركين عـداءً للرسول صلَّى الله عليه وآله، وفي أبيه نزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾. [الكوثر:٣].

ولمّا هاجر المسلمون إلى الحبشة، أوفدته قريش مع عمارة بن الوليد للنجاشي لتسليمهم إلى قريش فرفض النجاشي، وقد غدر ابن العاص بعمارة لدى النجاشي. (رسائل الشريف المرتضى:١/٤٣٨).

وبعد هجرة الرسول صلَّى الله عليه وآلـه إلى المدينة، لم يذكر له موقف في حروب المشركين ضدَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله مع أنّه ألدٌّ أعداء الرسول صلَّى الله عليه وآله والظاهر أنّه لم يكن من الشجعان، وبعد اتساع الإسلام في الجزيرة جاء عمرو وأسلم قبل فتح مكة بستة أشهر، وهناك رواية تشير إلى أنَّ إسلامه بعد لقائه بالنجاشي وأنّ الأخير أقنعه بالإسلام فعندها جاء وأسلم، ولكنَّها رواية ضعيفة وشاذّة لأنّ الهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة الشريفة أمّا هو فهاجر في سنة (٨هـ) أي بعد ست عشرة سنة، وقد ولاه الرسول صلَّى الله عليه وآله في معركة ذات السلاسل على جيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة.

وبعد رحيل النبيّ صلَّى الله عليه وآله كان عمرو بن العاص من ضمن جماعة من متأخري الإسلام الذين شنوا حملة على الأنصار فاستنجد الأنصار بالإمام عليٍّ عليه السلام وأدّى ذلك لسلسلة من المحاورات الكلامية الشديدة اللهجة، ثم أصبح عمرو بـن الـعـاص أحـد الـقـادة الأحـد عشر الذين أرسلهم أبو بكر للقضاء على المخالفين ثمّ أصبح من قادة الفتوحات زمن عمر بن الخطاب حيث فتح فلسطين ومصر، ثمّ تولى مصر أيـام عمر وأربع سنين من حكم عثمان لكنه عزله وولى عبد الله بن أبي سرح، فاعتزل عمرو في فلسطين وأخذ يؤلب الناس ضدَّ عثمان حتّى مقتله، فقال: (أنا أبو عبد الله ما نكأت قرحة إلاّ أدميتها).

ثمّ استجاب لدعوة معاوية فانضم إليه في حربه للإمام عليٍّ عليه السلام، وكان موقفه معروفاً يوم صفين حيث برز للإمام لكنَّه نجا بفعله الشنيع، حيث أظهر عورته لكي يتركه الإمـام عليه السلام وينجو بنفسه من سيف عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولجأ إلى حيلة رفع المصاحف، ممّا أدى لدخول الشبهة لدى أهل العراق، ثمّ أصبح ممثل أهـل الـشـام فـي التحكيم حيث خـدع أبـا موسى

الأشعري وبعدها قاد جيشاً من الشام نحو مصر حيث تمكن من القبض على واليه هناك محمّد بن أبي بكر رضوان الله تعالى عليه وإحراقه بجيفة حمار، وسيطر على مصر سنة (٣٨هـ)، واستمر حتّى سنة (٤٣هـ).

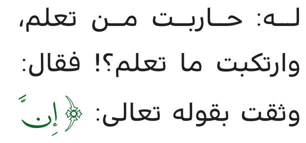
وحينما حضرته الوفاة قال: (اللهم إنّك أمرتني فلم أأتمر وزجرتني فلم أنزجر).

ووضع يده على موضع الغل وقال: (اللّهمّ لا قوي فانتصر ولا بريء فأعتذر).

ويقال إنّه لمّا حضرته الوفاة بكى فقال له ولده: لم تبكِ؟ أجزعاً من الموت؟ قال: لا والله، ولكن لما بعد الموت! فقال له: كنت على خير.

وجعلوا يذكرون صحبته لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وفتوحه الشام ومصر.

فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلَّا الله!

يرى أبو عبد الله البصري - أحد شيوخ المعتزلة - أنّ أول من قال بالإرجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنّه لا يضر مع الإيمان معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم، وارتكبت ما تعلم؟! فقال: وثقت بقوله تعالى:   .[الزمر:٥٣].

وإلى هذا المعنى أشار عمرو بن العاص لابنه بقوله: (تركت أفضل من ذلك، شهادة أنْ لا إله إلَّا الله). (الولاة والقضاة:٣٣).

وحينما أورد ابن أبي الحديد ما ذكره الواقدي في غزوة بدر حول ما كان يرويه عمرو بن العاص بعد إسلامه حول رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب، في أنّ شخصاً أخذ صخرة من جبل أبي قبيس – وهو أحد جبال مكة - وأرسلها تهوى، فما بقي بيت في مكة إلَّا ودخلها منه فلقة. (معجم ما استعجم:١٠٤٠/٣).

فكان عمرو بن العاص يقول: لقد رأيت كلَّ هذا، ولقد رأيت في دارنا فلقة من الصخرة الّتي انفلقت من أبي قبيس، ولقد كان ذلك عبرة، ولكنَّ الله لم يرد أنْ نسلم يومئذٍ لكنَّه أخر إسلامنا إلى ما أراد. (مغازي الواقدي:٢٩/١).

قال ابن أبي الحديد معلّقاً: (كان بعض أصحابنا يقول: لم يكف عمرو أن يقول: رأيت الصخرة في دور مكة، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطناً على وجه النفاق، واستخفافه بعقول المسلمين. زعم حتّى يضيف إلى ذلك



القول بالجبر الصراح فيقول: إنّ الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ). (شرح نهج البلاغة:١٤/٩٢).

وهناك أحاديث مكذوبة نسبت للنبيّ صلَّى الله عليه وآله في حق ابن العاص لا تتفق وتوجهاته كالقول المنسوب له صلَّى الله عليه وآله: (أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص)، والمعروف أنّ الإسلام باللسان والإيمان بالقلب والإيمان أرقى من الإسلام! (مروج الذهب:٢/٣٥١).

أمّا عن دوره في هذه اللجنة فقد اختلق حديثاً عدّه البخاري ومسلم من الصحاح وهو: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: (إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليي الله وصالح المؤمنين). (صحيح البخاري:٧/٧٣).

وأمّا أبو هريرة فهو من أهل البحرين أسلم في السنة السابعة للهجرة وأمضى مع النبيّ صلَّى الله عليه وآله عاماً ونصف العام، وبعد ذلك ذهب للبحرين - عاماً ونصف العام - ومع قصر المدة الّتي قضاها مع النبيّ صلَّى الله عليه وآله فقد جاء في المرتبة الأُولى في مقدار الأحاديث الّتي رواها عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله. (شرح نهج البلاغة:٤/٦٤).

وكان دوره كبيراً، فقد روى أنّ المقصود بقول النبيّ صلَّى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني)؛ روى أنّ الّذي آذى فاطمة عليها السلام وبالتالي آذى النبيّ صلَّى الله عليه وآله إنّما هو الإمام عليٌّ عليه السلام حينما أراد أنْ يتزوج ابنة أبي جهل في حياة السيدة فاطمة عليها السلام). (شرح نهج البلاغة:٤/٦٤).

فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة. (كتاب السقيفة:٢٧٣).

وقد استغل ذلك متصنعة القبلة (الدجالون) الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنّها حق، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. (كتاب السقيفة:٢٧٤).

هذا الواقع كان ماثلاً لدى الإمام محمّد الباقر عليه السلام إذ وصفه: «وَوَجَدَ الْكَاذِبُونَ الْجَاحِدُونَ لِكَذِبِهِمْ وَجُحُودِهِمْ مَوْضِعاً يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَقُضَاةِ السَّوْءِ وَعُمَّالِ السَّوْءِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ فَحَدَّثُوهُمْ بِالأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الْمَكْذُوبَةِ وَرَوَوْا عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ وَلَمْ نَفْعَلْهُ لِيُبَغِّضُونَا إِلَى النَّاسِ وَكَانَ عِظَمُ ذَلِكَ وَكِبَرُهُ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ عليه السلام». (بحار الأنوار:٤٤/٦٩).

واستمر الأمر إلى أيام ولاية الحجاج الثقفي للعراق، حيث تقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض عليٍّ وموالاة أعدائه، وموالاة من يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من البغض من عليٍّ عليه السلام والطعن فيه والشنآن له. (شرح نهج البلاغة:١١/٤٦).

إنّ من يستقرئ ذلك الواقع بإمعان ليستغرب كيف وصلت إلينا فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام! إذ إنّ ذلك لم يزده إلَّا رفعة وسمواً، وكأنّه كالمسك الّذي كلّما سُتر انتشر، وكلّما كُتم تضوع نشره، وكأنّه شمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار الّذي إنْ حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة. (شرح نهج البلاغة:١/١٦).

ولذا عدّ الشيخ المفيد ذلك من باب المعجزات الخارقة للعادة. (الإرشاد:١١٦).

وكيف لا يكون من باب المعجزات إذ إنَّ أولياء الإمام عليه السلام كتموا فضائله خوفاً، وإمّا أعداؤه فكتموها حسداً، ومع ذلك برز ما بين هذين ما ملأ الخافقين. (الرواشح السماوية:٢٠٣).

وقال أبو جعفر الإسكافي: (فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة، لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدّة، وشدّة العداوة، ولولا أنَّ لله تعالى في هذا الرجل سرّاً يعلمه من يعلمه لم يروَ في فضله حديث، ولا عرفت له منقبة). (شرح نهج البلاغة:٤/٧٣).

بقلم: جواد كاظم ال نصر الله

حكم الإمام المهدي عجل الله فرجه

يشنع خصوم الشيعة على الشيعة بأنّ مهديهم - بحسب دلالة روايات الشيعة - سيحكم بحكم آل داود إذا ظهر، وأنَّه لن يحكم بشريعة نبينا محمّد صلَّى الله عليه وآله الناسخة للشرائع السابقة؟!

وهذا كلام باطل مردود، والروايات التي ورد فيها أنَّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سيحكم بحكم داود يراد بها أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيحكم بالطريقة نفسها التي اتبعها النبيُّ داود على نبيّنا وآله وعليه السلام في الحكم، فإنّ النبيَّ داود على نبينا وآله وعليه السلام كان يحكم بعِلْمِه، ولا يعوِّل على الشهود والأيمان، والإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف كذلك، سيحكم بعلمه في كلِّ القضايا والوقائع، ولن يحكم بالأيمان والشهود، ولا يُراد بما جاء في تلك الروايات أنَّ الإمام المهدي عليه السلام سيحكم بشريعة النبيِّ داود على نبيّنا وآله وعليه السلام، وسيترك العمل بأحكام الشريعة الإسلامية، فإنّ هذا غير مُراد جزماً.

قال الشيخ المجلسي قدس سره في بحار الأنوار: (ثمَّ اعلم أنّ الظاهر من الأخبار أنَّ القائم عجل الله فرجه إذا ظهر يحكم بما يَعْلم في الواقعة لا بالبيّنة، وأمَّا من تقدَّمه من الأئمة عليهم السلام فقد كانوا يحكمون بالظاهر، وقد كانوا يُظْهِرون ما يعلمون من باطن الأمر بالحِيَل كما كان أمير المؤمنين عليه السلام يفعله في كثير من الموارد). (بحار الأنوار:١٧٧/٢٦).

وقال الشيخ المفيد في كتاب المسائل: (للإمام عليه السلام أنْ يحكم بعلمه كما يحكم بظاهر الشهادات، ومتى عرف من المشهود عليه ضدّ ما تضمَّنته الشهادة أبطل بذلك شهادة من شهد عليه، وحكم فيه بما أعلمه الله تعالى، وقد يجوز عندي أنْ تغيب عنه بواطن الأُمور، فيحكم فيها بالظواهر وإنْ كانت على خلاف الحقيقة عند الله تعالى، ويجوز أنْ يدلَّه الله تعالى على الفرق بين الصادقين من الشهود وبين الكاذبين، فلا تغيب عنه حقيقة الحال، والأُمور في هذا الباب متعلِّقة بالألطاف والمصالح التي لا يعلمها على كلِّ حال إلَّا الله عزَّ وجلَّ، ولأهل الإمامة في هذه المقالة ثلاثة أقوال: فمنهم من يزعم أنَّ أحكام الأئمة على الظواهر دون ما يعلمونه على كلِّ حال، ومنهم من يزعم أنَّ أحكامهم إنَّما هي على البواطن دون الظواهر التي يجوز فيها الخلاف، ومنهم من يذهب إلى ما اخترته أنا من المقال. (بحار الأنوار ١٧٩/٢٦).

وقال في مرآة العقول: وهذا الاختلاف في سِيَرهم عليهم السلام ليس من قبيل النسخ حتى يرد: «لا نسخ بعد نبيّنا»، بل إمَّا باعتبار التقية في بعضها، أو اختلاف الأوضاع والأحوال في الأزمان، فإنَّه يمكن أنْ يكون النبيُّ أمر الإمام بالحكم بالواقع إذا لم يصر سبباً لتفرّق الناس ورجوعهم عن الحق، وبالحكم بالظاهر إذا صار سبباً لذلك...). (مرآة العقول ٣٠١/٤).

فإذا تبين ذلك نقول: إنَّ وظيفة الإمام المهدي هي ملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أنْ تملأ ظلماً وجوراً، ومن الطبيعي أنْ يحكم الإمام في كلِّ قضية بما يوافق الواقع؛ لترجع الحقوق إلى أصحابها، وهذا يقتضي أنْ يحكم بعلمه الذي يلهمه الله به، لا بالظاهر الذي قد يصيب الواقع وقد يخطئه، فتفوت كثير من الحقوق في حال عدم إصابته للواقع، وهذا هو المراد بحكم النبيِّ داود، فإنَّ داود كان يحكم في كلِّ قضية بما يلهمه الله سبحانه من غير حاجة إلى الرجوع إلى البينات والأَيمان.

وعمل الحاكم بعلمه من دون الأخذ بالبينات والأَيمان مسألة فقهية اختلف العلماء فيها، فجوزها قوم ومنعها آخرون.

قال ابن قدامة في المغني: (مسألة) قال: (ولا يحكم الحاكم بعلمه) ظاهر المذهب أنَّ الحاكم لا يحكم بعلمه في حَدٍّ ولا غيره، لا فيما علمه قبل الولاية ولا بعدها. هذا قول شريح، والشعبي، ومالك، وإسحاق، وأبي عبيد، ومحمد بن الحسن، وهو أحد قولي الشافعي، وعن أحمد رواية أُخرى: يجوز له ذلك، وهو قول أبي يوسف، وأبي ثور، والقول الثاني للشافعي، واختيار المزني؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لما قالت له هند: إنّ أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي. قال: «خذي ما

يكفيك وولدك بالمعروف»، فحكم لها من غير بينة ولا إقرار؛ لعلمه بصدقها.

إلى أنْ قال: ولأنَّ الحاكم يحكم بالشاهدين؛ لأنَّهما يغلبان على الظن، فما تحقَّقه وقطع به كان أولى؛ ولأنَّه يحكم بعلمه في تعديل الشهود وجرحهم، فكذلك في ثبوت الحق قياساً عليه. (المغني ٤٠١/١١).

وقال ابن رشد: واختلف هل يقضي بعلمه على أحد دون بينة أو إقرار، أو لا يقضي إلَّا بالدليل والإقرار؟ فقال مالك وأكثر أصحابه: لا يقضي إلَّا بالبينات أو الإقرار، وبه قال أحمد وشريح، وقال الشافعي والكوفي وأبو ثور وجماعة: للقاضي أنْ يقضي بعلمه. ولكلتا الطائفتين سلف من الصحابة والتابعين، وكلٌّ واحد منهما اعتمد في قوله السماع والنظر.

إلى أنْ قال: وأمَّا عمدة من أجاز ذلك، إمَّا من طريق السماع فحديث عائشة في قصة هند بنت عتبة بن ربيعة مع زوجها أبي سفيان بن حرب حين قال لها عليه الصلاة والسلام وقد شكت أبا سفيان: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» دون أنْ يسمع قول خصمها. وإمَّا من طريق المعنى فإنَّه إذا كان له أنْ يحكم بقول الشاهد الذي هو مظنون في حقه، فأحرى أنْ يحكم بما هو عنده يقين. (بداية المجتهد).

وقال ابن زهرة الحلبي قدس سره: ويجوز للحاكم أنْ يحكم بعلمه في جميع الأشياء من الأموال والحدود والقصاص وغير ذلك، وسواء في ذلك ما علمه في حال الولاية أو قبلها، بدليل إجماع الطائفة، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾، وقوله: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾، ومن حكم بعلمه فقد حكم بالحق والعدل، وأيضاً قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾، وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، ومن علمه الإمام أو الحاكم زانياً أو سارقاً وجب عليه امتثال الأمر، وإذا ثبت ذلك في الحدِّ ثبت في الأموال؛ لأنَّ أحداً لم يفرق بين الأمرين، وأيضاً فلو لم يقض الحاكم بعلمه لأدى إمَّا إلى فسقه من حيث منع الحق الذي يعلمه، أو إعطاء ما لم يعلم استحقاقه، وإمَّا إلى إيقاف الحكم، والأوّل يقتضي فسخ ولايته وإبطال أحكامه مستقبلاً، والثاني ينافي المقصود بها، وأيضاً فإنَّما يحتاج إلى البينة ليغلب في الظن صدق المدعى، ولا شبهة في أنَّ العلم بصدقه آكد من غلبة الظن، فإذا وجب الحكم مع الظن ذلك، فلأنْ يجب مع العلم به أَولى وأَحرى. (غنية النزوع ٤٣٦/١).

والنتيجة أنَّه لا غضاضة على الإمام المهدي عليه السلام في أنْ يحكم في القضايا بعلمه الذي يلهمه الله به، فلا يَسأل عن بيّنة أو يمين كما كان يفعل النبيُّ داود على نبيّنا وآله وعليه السلام في حكمه، ولا يعني ذلك أنَّ الإمام سيعمل بشريعة داود، وسيترك شريعة نبيّنا محمّد صلَّى الله عليه وآله في الحكم كما يفتريه أعداء الشيعة.

بقلم: الشيخ علي آل محسن





المُسْلِمُ في روايات أهل البيت عليهم السلام

هناك تعاريف مختلفة للمسلم منها ما يلي:

أوّلاً: التعريف العام

المسلم هو من أقرّ بالله رباً وإلهاً واحداً وينفي الربوبية والأُلوهية لغيره، يقر بنبوة النبيّ محمد صلّى الله عليه وآله.

ويتخّذ الإسلام ديناً، ويتبع النبيّ الأكرم محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله نبياً ورسولاً، ويكون مسلّماً لأوصيائه عليهم السلام.

كذلك يتخذ القرآن الكريم كتاباً للهداية، وتكون الكعبة قبلته.

وقيل: مسلم من كلمة (سلم)، وهي اسم فاعل من (أسلم) وجمعها في حالة الرفع (مسلمون) وفي حالة النصب (مسلمين) ومؤنّثها (مسلمة) وجمع التأنيث (مسلمات).

ويعرّف المسلم لغوياً بأنّه الشخص المعتنق لدين الإسلام.

وقد يطلع على معانٍ كثيرة، منها المسلّم أو المستسلم أو المخلص أو الخاضع، المنقاد.

وقيل المسلم هو الذي يؤدّي أركان الإسلام وهي ما يبنى عليه الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ أول من استخدم هذا المصطلح هو نبيُّ الله إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾. [الحج:٧٨]

ثانياً: التعريف الخاص

هناك تعاريف مختلفة غير التعريف العام بالنسبة للمسلم، مع وجود مسؤوليات ووظائف خاصة يمكن إطلاق كلمة المسلم على من يسير بالمنهج الصحيح الذي رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام.

منها: في المعاملة بين الناس، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «... ألا أُنبئكم من المسلم، المسلم من سلم الناس من يده ولسانه...».(صفات الشيعة:٣١).

فعرّف النبيُّ الأكرم صلّى الله عليه وآله في حديثه الشريف أنَّ المسلم من سلم الآخرون من يده ولسانه، وهذا يرشدنا إلى أخذ الحذر في

التعامل مع الناس.

فضلاً عن مساعدة الناس في قضاء حوائجهم؛ فمن أراد أنْ يكون مسلماً عليه أنْ يكفَّ الأذى عن الآخرين سواء بلسانه أو بيده.

والمسلم من أسلم كلَّ شيء لله والرسول وأولي الأمر، والتسليم لهم هو تفويض الأُمور جميعاً لهم.

وقيل: إنّ الإسلام له ظاهر وباطن:

فظاهره الإقـرار بالتوحيد التام والكامل وهو الإقرار بتوحيد الله ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وإمامة عليٍّ عليه السلام.

الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، فَالتَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ

وباطنه التسليم بولاية آل محمد، ووصايتهم وأنّ ولايتهم هي ولاية الله تعالى، وهي ممتدة من التوحيد.

لذا يتبين أنّ للإسلام بداية ونهاية، فبدايته الإقرار بالتوحيد ونهايته التسليم لولاية الأئمة؛ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[النساء:٦٥]

وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الإسلام هو التسليم»، أي التسليم للحقيقة التي هي إمامة أهل البيت وولايتهم التكوينية والتشريعية، التي هي الإمامة الإلهية.

عن الإمام العسكري عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أنّه قال: «يَعْنِي فِي السِّلْمِ وَالْمُسَالَمَةِ إِلَى دِينِ الإِسْلاَمِ كَافَّةً جَمَاعَةً ادْخُلُوا فِيهِ، وَادْخُلُوا فِي جَمِيعِ الإِسْلاَمِ، فَتَقَبَّلُوهُ وَاعْمَلُوا فِيهِ، وَلاَ تَكُونُوا كَمَنْ يَقْبَلُ بَعْضَهُ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَأْبَى بَعْضَهُ وَيَهْجُرُهُ»؛ قَالَ: «وَمِنْهُ الدُّخُولُ فِي قَبُولِ وَلاَيَةِ عَلِيٍّ عليه السلام كَالدُّخُولِ فِي قَبُولِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّهُ لاَ يَكُونُ مُسْلِماً مَنْ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَاعْتَرَفَ بِهِ وَلَمْ يَعْتَرِفْ بِأَنَّ عَلِيّاً وَصِيُّهُ وَخَلِيفَتُهُ وَخَيْرُ أُمَّتِهِ».(تفسير الإمام العسكري عليه السلام:٦٢٧).

وعن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «يَا سُلَيْمَانُ أَتَدْرِي مَنِ الْمُسْلِمُ؟»، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». (الكافي الشريف:٢/٢٣٤).

وعَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ حَسَنُ بْنُ زِيَادٍ الصَّيْقَلُ: عَنْ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «لَا تَنْظُرُوا إِلى طُولِ رُكُوعِ الرَّجُلِ وَسُجُودِهِ؛ فَإِنَّ ذلِكَ شَيْءٌ اعْتَادَهُ، فَلَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ لِذلِكَ، وَلكِنِ انْظُرُوا إِلى صِدْقِ حَدِيثِهِ، وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ». (الكافي الشريف:٣/٢٧٣).

أي أنّ إسلام الرجل ليس بطول ركوعه في الصلاة أو إطالة السجود فقط، بل المسلم عليه أنْ يدخل في كلِّ الأُمور الخاصة بالإسلام والمسلمين، منها التعامل بين الناس والمجتمع، بصدق وخير وصلاح، وأداؤه للأمانة، وهو جزء من المعاملة بين الآخر أيضاً.

وورد في حديث الإمام عليٍّ عليه السلام وكيف ينسب الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبله ولا بعده.

فعن مُحَمَّد بْن يَحْيَى الْبَغْدَادِيّ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَنْسُبْهَا أَحَدٌ بَعْدِي، الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَالْيَقِينُ هُوَ التَّصدِيقُ، فَالتَّصدِيقُ هُوَ الْإِقْـرَارُ، وَالْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ رَبِّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُعْرَفُ إِيمَانُهُ فِي عَمَلِهِ وَإِنَّ الْكَافِرَ يُعْرَفُ كُفْرُهُ بِإِنْكَارِهِ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ دِينَكُمْ دِينَكُمْ فَإِنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْحَسَنَةِ فِي غَيْرِهِ، وَإِنَّ السَّيِّئَةَ فِيهِ تُغْفَرُ، وَإِنَّ الْحَسَنَةَ فِي غَيْرِهِ لَا تُقْبَلُ». (تفسير القمي:١/١٠٠).

بقلم: سيد حسام أبو قدر

اخسأ عنّا وعنهم الشّيطان

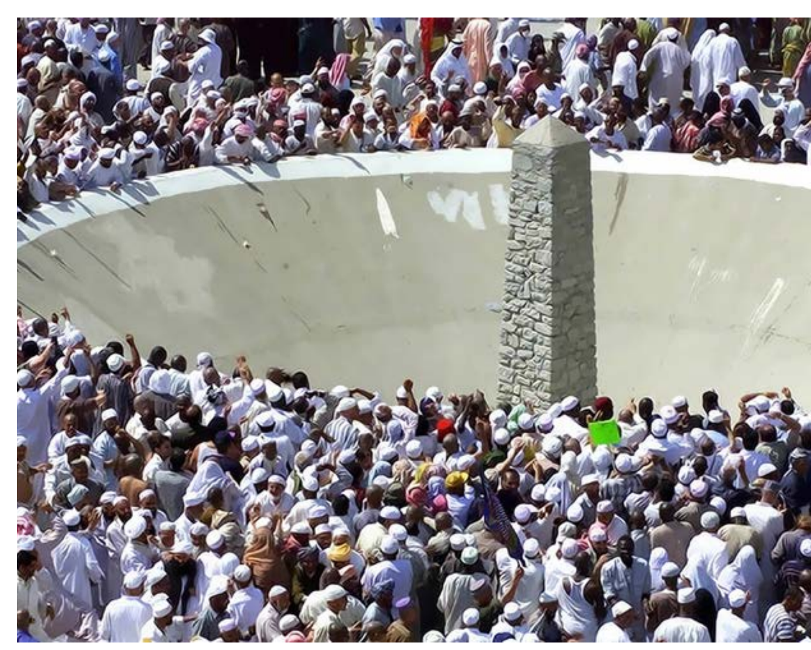
ورد في الكافي الشريف: عن أحمد بن مهران، معنعناً عن يزيد بن سليط، قال: لما أوصى أبو إبراهيم عليه السلام - الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - أشهد إبراهيم بن محمد الجعفري وإسحاق بن محمد الجعفري وإسحاق بن جعفر بن محمد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفري ويحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ وسعد بن عمران الأنصاري ومحمد بن الحارث الأنصاري ويزيد بن سليط الأنصاري ومحمد بن جعد بن سعد الأسلمي وهو كاتب الوصية على ذلك، فأوصى عليه السلام وقال: «أشهدهم أنَّه يشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، وأنَّ البعث بعد الموت حق، وأنَّ الوعد حق، وأنَّ الحساب حق، والقضاء حق، وأنَّ الوقوف بين يدي الله حق، وأنَّ ما جاء به محمّد صلَّى الله عليه وآله حق، وأنَّ ما نزل به الروح الأمين حق على ذلك أحيى وعليه أموت، وعليه أُبعث إنْ شاء الله. وأشهدهم أنَّ هذه وصيتي بخطي وقد نسخت وصية جدي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ووصية محمّد بن عليّ (قبل) ذلك نسختها حرفاً بحرف، ووصية جعفر بن محمّد على مثل ذلك، وإنّي قد أوصيت إلى عليٍّ وبنيّ بعد معه إنْ شاء وآنس منهم رشداً

وأحبّ أنْ يقرّهم فذلك له، وإنْ كرههم وأحبّ أنْ يخرجهم فذاك له ولا أمر لهم معه، وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي وموالي وصبياني الذين خلفت وولدي إلى إبراهيم والعباس وقاسم وإسماعيل وأحمد وأُمّ أحمد، وإلى عليّ أمر نسائي دونهم، وثلث صدقة أبي وثلثي يضعه حيث يرى، ويجعل فيه ما يجعل ذو المال في ماله. فإنْ أحبّ أنْ يبيع أو يهبّ أو ينحل أو يتصدق بها على من سميت له وعلى غير من سميت فذاك له وهو أنا في وصيتي في مالي وفي أهلي وولدي، وإنْ رأى أنْ يقرّ إخوته الذين سميتهم في كتابي هذا أقرّهم وإنْ كره فله أنْ يخرجهم غير مثرب عليه ولا مردود، فإنْ آنس منهم غير الذي فارقتهم عليه فأحب أنْ يردهم في ولاية فذلك له، وإنْ أراد رجل منهم أنْ يزوج أُخته فليس له أنْ يزوجها إلَّا بإذنه وأمره: فإنَّه أعرف بمناكح قومه... وليس لأحد أنْ يكشف وصيتي ولا ينشرها، وهو منها على غير ما ذكرت وسميت، فمن أساء فعليه ومن أحسن فلنفسه وما ربّك بظلام للعبيد، وصلَّى الله على محمّد وآله، وليس لأحد من سلطان ولا غيره أنْ يفض كتابي هذا الذي ختمت عليه الأسفل، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين، والملائكة المقربين وجماعة المرسلين والمسلمين، وعلى من فض كتابي هذا»، وكتب وختم أبو إبراهيم والشهود وصلَّى الله على محمد وعلى آله.

قال الراوي: قام العباس بن موسى بالشكوى ضدَّ عليّ بن موسى عند القاضي أبي عمران الطلحي وهو قاضي المدينة، فقال العباس بن موسى: أصلحك الله وأمتع بك إنّ في أسفل هذا الكتاب كنزاً وجوهراً ويريد أنْ يحتجبه ويأخذه دوننا: ولم يدع أبونا رحمه الله شيئاً إلَّا ألجأه إليه وتركنا عالة، ولولا أنّي أكفّ نفسي لأخبرتك بشيء على رؤوس الملأ... فقال العباس للقاضي: أصلحك الله فض الخاتم واقرأ ما تحته فقال أبو عمران لا أفضه حسبي ما لعنني أبوك منذ اليوم، فقال العباس: فأنا أفضه فقال: ذاك إليك ففض العباس الخاتم فإذا فيه إخراجهم وإقرار عليّ بها وحده، وإدخاله إياهم في ولاية عليّ إنْ أحبوا أو كرهوا، وإخراجهم من حدِّ الصدقة وغيرها، وكان فتحه عليهم بلاء وفضيحة وذلة، ولعليٍّ عليه السلام خيرة، وكان في الوصية التي فض العباس تحت الخاتم هؤلاء الشهود إبراهيم بن محمد وإسحاق بن جعفر وجعفر بن صالح، وسعيد بن عمران. ثمّ إنّ علياً عليه السلام التفت إلى العباس فقال: «يا أخي أنا أعلم إنّه إنَّما حملكم على هذا الغرائم والديون التي عليكم فانطلق يا سعيد فتعين لي ما عليهم ثمَّ اقض عنهم، واقبض زكاة حقوقهم، وخذ لهم البراءة ولا والله لا أدع مواساتكم وبركم ما مشيت على الأرض فقولوا ما شئتم».

فقال العباس: ما تعطينا إلَّا من فضول أموالنا وما لنا عندك أكثر فقال عليه السلام: «قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم فإنْ تحسنوا فذاك لكم عند الله، وإنْ تسيئوا فإنَّ الله غفور رحيم والله إنّكم لتعرفون أنَّه مالي يومي هذا ولد ولا وارث غيركم، ولئن حبست شيئاً ممّا تظنون أو ادخرته فإنَّما هو لكم ومرجعه إليكم؛ والله ما ملكت منذ مضى أبوك رضي الله عنه شيئاً إلَّا وقد سيبته حيث رأيتم».

فوثب العباس فقال: والله ما هو كذلك وما جعل الله لك من رأي علينا، ولكن حسد أبينا لنا وإرادته ما أراد ممّا لا يسوغه الله إياه ولا إياك، وإنَّك لتعرف أنّي أعرف صفوان بن يحيى بياع السابري بالكوفة ولئن سلمت لأغصصنه بريقه وأنت معه. فقال عليٌّ عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم أمّا إنّي يا إخوتي فحريص على مسرتكم، الله يعلم»، فقال عليه السلام: «اللهم إنْ كنت تعلم أنّي أحبّ صلاحهم وأنّي بار بهم واصل لهم، رفيق عليهم، أعنى بأُمورهم ليلاً ونهاراً فأجزني به خيراً، وإنْ كنت على غير ذلك فأنت علام الغيوب فأجزني به ما أنا أهله إنْ كان شراً فشراً، وإنْ كان خيراً فخيراً اللهم أصلحهم وأصلح لهم، وأخسأ عنا وعنهم شرّ الشيطان، وأعنهم على طاعتك ووفقهم لرشدك؛ أمَّا أنا يا أخي فحريص على مسرتكم، جاهد على صلاحكم، والله على ما نقول



وكيل»، فقال العباس: ما أعرفني بلسانك وليس لمسحاتك عندي طين.

قال الراوي: فافترق القوم على هذا.

بيان بعض الأُمور المهمة

إنّ هذه الوصية موافقة لوصايا أهل البيت عليهم السلام فأراد عليه السلام من (الوعد) الإخبار بالثواب للمطيع، وكونه حقاً أنّه يجب الوفاء به أو لا يجوز تركه و(القضاء) الحكم بمقتضى الحساب من ثواب المطيع وعقاب العاصي بشروطهما.

وقوله عليه السلام: (بنيّ) عطف على عليٍّ (بعد) أي بعد عليٍّ في المنزلة (معه) أي مشاركين معه في الوصية، أراد (أنْ يقرّهم) في الوصية أو (يخرجهم) منها.

وقوله عليه السلام: (وأموالي) أي ضبط حصص الصغار والغيب منها أو بناء على أنَّ الإمام المعصوم أولى بالمؤمنين من أنفسهم و(موالي) أي عبيدي وإمائي أو عتقائي لحفظهم ورعايتهم أو أخذ ميراثهم، فهذا كلُّه بيد عليٍّ بن موسى عليهما السلام.

وقال عليه السلام: (وإلى عليٍّ) أي مفوض إليه وهو خبر (أمر نسائي) أي اختيارهن وهو مبتدأ (دونهم) أي دون سائر ولدي (وثلث صدقة أبي) مبتدأ وضمير يضعه راجع إلى كلٍّ من الثلثين، والمراد التصرف في حاصلهما بناء على أنَّهما حق التولية والمراد بيع أصلهما بناء على أنَّهما كانا من الأموال التي للإمام التصرف فيها كيف شاء، ولم يمكنها إظهار ذلك تقية فسماهما صدقة، أو بناء على جواز بيع الوقف في بعض الصور ويحتمل أنْ يكون ثلث صدقة أبي عطفاً على أمر نسائي ويكون (ثلثي) مبتدأً و (يضعه) خبره فالمراد ثلث غير الأوقاف.(الكافي الشريف:١/٣١٦-٣١٩).

وقال عليه السلام في حفظ وصيّته ومراعاتها (أنْ يكشف وصيتي) أي يظهرها (وهو منها) الواو للحال، ومن للنسبة كأنت مني بمنزلة هارون من موسى، والضمير للوصية (ما ذكرت) أي أنّ عليَّ بن موسى عليه السلام وصيٌّ وإليه الاختيار (أو سميت باسمه) أي أعليت ذكره (وما ربّك بظلام للعبيد) لأنّ من أعطى الجزاء خيراً أو شراً من لا يستحقه فهو ظلام في غاية الظلم (الأسفل) صفة كتابي؛ وأنَّهما كانتا وصيتين طوى السفلى وختمهما ثمَّ طوى فوقها العليا.

وقال عليه السلام: (على من فض) يمكن أنْ يقرأ عليّ بالتشديد اسماً أي هو الذي يجوز أنْ يفض، أو يكون حرفاً والمعنى وعلى من فضّ لعنة الله، ويكون هذا إشارة إلى الوصية الفوقانية، ويمكن أنْ يقرأ الأول يفض على بناء الأفعال للتعريض أي يمكن من الفض فاللعنة الأُولى على الممكن، والثانية على الفاعل والفض كسر الخاتم (وكتب وختم) هذا كلامه عليه الصلاة والسلام على سبيل الالتفات أو كلام يزيد، والمراد أنَّه عليه السلام كتب شهادته على هامش الوصية الثانية وهذا الختم غير الختم المذكور سابقاً ويحتمل أنْ يكون الختم على رأس الوصية الثانية كالأُولى.

وقال عليه السلام: (وأمتع بك) أي جعل الناس متمتعين منتفعين بك (في أسفل هذا الكتاب) أي الوصية الأُولى المختوم عليها (كنزاً وجوهراً) أي ذكر كنز أو جوهر، وإنْ كان لا يبعد من حمقه إرادة نفسهما (إلَّا ألجأه) أي فوضه إليه، والعالة جمع العائل وهو الفقير أو الكثير العيال (لأخبرتك

بشيء) أي ادعاء الإمامة والخلافة، وغرضه التخويف وإغـراء الأعـداء بـه (إذا) أي حين تخبر بالشيء و(المدحور) المطرود (نعرفك) استئناف البيان السابق (ولو) للتمني أو الجزاء محذوف (وإنْ) مخففة من المثقلة (ليأمنك) اللام المكسورة زائدة لتأكيد النفي (والتلبيب) مجمع ما في موضع اللب من ثياب الرجل (أجمع) بصيغة الأمر للتهديد، ويدل على أنَّه صدر منه بالأمس أمر شنيع آخر و(المستخف) على بناء المفعول من يعدّ خفيفاً (منذ اليوم) إشارة إلى أنَّه لزم اللعن القاضي إمّا لإحضاره والتفتيش عنه، ولم يكن له ذلك، أو بناءً على أنَّه لعن عليه السلام من فض الكتاب الأول أيضاً كما مرَّ احتمالاً (فإذا فيه) الضمير لما تحته وضمير (لها) للوصية (في ولاية عليّ) أي في كونه أنَّه وصيٌّ وإليه الاختيار (أو سميت باسمه) أي أعليت ذكره (وما ربك بظلام للعبيد) لأنَّ من أعطى الجزاء خيراً أو شـراً من لا يستحقه فهو ظلام في غاية الظلم (الأسفل) صفة كتابي؛ وأنَّهما كانتا وصيتين طوى السفلى وختمهما ثم طوى فوقها العليا.(عيون أخبار الرضا:١/٣٣).

وقوله: (والله يعلم) بمنزلة القسم (أعنى) على بناء المجهول أو المعلوم أي أعتني وأهتم بأُمورهم (وأصلح) أي أُمورهم لهم وخسأت الكلب كمنعت طردته وأبعدته (جاهد) أي جاد (وكيل) أي شاهد (ما أعرفني) صيغة التعجب (بلسانك) أي أنَّك قادر على تحسين الكلام وتزويقه لكن ليس موافقاً لقلبك.

وقال: (وليس لمسحاتك عندي طين) هذا مثل سائر يضرب لمن لا تؤثر حيلته فـي غيره قال الميداني: لم يجد لمسحاته طيناً مثل يضرب لمن حيل بينه وبين مراده.

الحكمة

يظهر من هـذه الـرواية أنّ العبّاس بن موسى عليه السلام منحرف لمعارضته لإمام زمانه عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام.

قال الخوئي: (عارض أخاه عليَّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام في وصيّة أبيه، وشكا إلى القاضي أبي عمران الطّلحي، وخالف أباه في وصيّته وفضّ الخاتم مع أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام لعن من فضّه).(الكافي الشريف:١/٧٢، ح١٥).

فقوله عليه السلام: (اخسأ عنّا وعنهم الشّيطان) وإنْ لم تكن مثلاً أو لم يرسلها الإمام الرّضا عليه السلام كذلك ولكنّها من التّمثيل والتّشبيه بالكلب لأنّها تقال عليه عند إبعاده وطرده وقد جاءت الكلمة في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام نقله ابن طاووس: (واخسأ شيطاني) وفي القرآن الكريم في زجر أهل النّار: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. [المؤمنون:١٠٨].

قال الفيض الكاشاني، اسكتوا سكوت هوان فإنّها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب. إذا زجرته فانزجر.(تفسير الصافي:٢/١٥٠).

قال ابن منظور: الخاسئ من الكلاب والخنازير والشّياطين: البعيد الّـذي لا يترك أنْ يدنو من الإنسان. والخاسئ: المطرود، وخسأ الكلب يخسؤه خسأً وخسوءاً خسأ وانخسأ: طرده قال:

كالكلب إنْ قيل له اخسأ انخسأ.

وفي الحديث: فخسأت الكلب أي طردته أبعدته ويكون الخاسئ بمعنى الصاغر القميء ويقال واخسأ عني. (لسان العرب:١/٦٥).

وقال الزجّاج في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: معناه تباعد سخط. وقال الله تعالى لليهود ﴿...كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.[البقرة:٦٥] أي مدحورين، وقـال الـزجـاج: مبعدين.. وخسأ بصره.. إذا سدروا وأعيا.

وفي التنزيل: (ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير). (النهاية:٤/٣٢٨).

إذا بان معنى الكلمة تجلّى المراد من الدّعاء أي يا رب ادحر الشّيطان عنّي وعن العبّاس المدّعي ما لا حقّ له فإنّ ذلك من عمل الشّيطان أنْ يجعل الإنسان يدّعي ما ليس له.

وأمّا عنه عليه السلام فهو مجرّد دعاء أو دعاء للاستمرار لأنّه معصوم حتى عن وسوسة الشيطان على مذهبنا. (بحار الأنوار:٤٩/٢٢٥).

بقلم: غريب الشطري

التوبة عودة الإنسان إلى فطرة الله

كثيراً ما أخذت تتوارد عبارة العودة إلى الذات في الكتابات التي أخذت صبغة نهضوية، والمنفعلة عادة بفكر اليسار الثوري تارةً، والاشتراكي تارةً أُخرى، وتأثراً بتلك الأفكار أخذ المفكرون يرددون العبارات ذاتها، حتى تعالت تلك الأصوات، وعلى الرغم من اعتقادنا بأنَّ تلك الدعوات لا تخلو من فائدة وصوابها في بعض الأحيان، ولكن دعوات العودة هذه لأنّها انطلقت من بيئة مختلفة عن بيئتهم لم تكن ناظرة لجوهر المشكلة، ومتوقفة عند حلول مصطنعة متذبذبة، متهافتة ذات اليمين وذات اليسار.

وقد تحدث القرآن الكريم مراراً عن العديد من أسباب التراجع الحضاري لهذه الأُمم، وقد بيّن ماهية أسبابه وقد رسم خريطة من خلال وضع آليات للحدِّ من ذلك التراجع، وفي الوقت نفسه لم يغفل الحديث عن الأُمم التي امتازت بالتقدم الحضاري مع بيان أهم أسباب هذا التقدم، في محاولة لإعطاء أنموذج يقتدى به من قبل الأُمم الأُخرى قديماً وحديثاً.

وهناك جملة من الأسباب التي تؤثّر على سلوك الإنسان فتحرفه عن طريق الله سبحانه وتعالى وتبعده عن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وفعل الصالحات وحبّ الخير والسعي لمرضاة الله، منها الشيطان الذي حذّرنا الله من اتباع خطواته الذي لا يأتي مباشرة بل يستدرج الإنسان شيئاً فشيئاً حتى يسقطه في بحر الشهوات والملذات التي يصعب الخروج فقد قال لنا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ .[يس:٦٠-٦١]

ومنها النفس التي تأمر بالسوء كما قال نبيٌّ الله يوسف على نبينا وآله وعليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾. [يوسف:٥٣]

ومنها الهوى الذي أُمرنا بمخالفته وعدم اتباعه،



بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .[ص:٢٦]

وإذا انحرف الإنسان ولم يستمع لأوامر الله جلّ وعلا ولم يصغِ لضميره وارتكب المحرمات فإنّ الله وهو اللطيف لم يترك هذا الإنسان هكذا ليضيع، فهو أرأف بعباده من أنفسهم كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، وبيّن لهم في العديد من الآيات أنّ طريق العودة إلى الفطرة السليمة مفتوح لهذا الإنسان متى ما توجه العبد إلى ربّه ولم ينسَ العهد بينه وبين خالقه، فإنّ من شأن الذنوب أنْ تبعد العبد عن طريق السعادة الأبدية الذي جعله الله لمن امتثل لأوامره واجتنب معاصيه، فإذا ما تاب توبة نصوحاً فإنّه سوف يعود إلى تلك الفطرة وإلى الذات، بل وأكثر من ذلك تكفل بمحو السيئات عنه، وقد جاءت الآيات المباركات واحدة تلو الأُخرى وهي توضّح كيفية سلوك هذا الطريق والمضي في هذا المشوار، وهنا تأتي عدّة أسئلة منها:

ما هي التوبة؟ وما هي ضرورة التوبة؟ وهل هناك مراحل لهذه التوبة؟

التوبة هي الرجوع من الذنب، ولن يكون هناك رجوع إلَّا إذا جاء معه ندم على هذا الفعل فكما ورد في الحديث «كفى بالندم توبة». (الكافي الشريف:١٠/١٥٧).

من مصاديق الندم، هو الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطأ.

فعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي الأحمسي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله ما ينجو من الذنب إلَّا من أقرّ به».

وعن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «...ما أراد الله تعالى من الناس إلَّا خصلتين: أنْ يقروا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم». (الكافي الشريف:١٠/١٥٨).

والمراد بالإقرار بالنعم معرفة المنعم وقدر نعمته وأنّها منه تفضلاً وهو شكر والشكر يوجب الزيادة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .[إبراهيم:٧]

وبالإقرار بالذنوب الإقرار بها مجملاً ومفصلاً وهو ندامة منها والندامة توبة والتوبة توجب غفران الذنوب ويمكن أنْ يكون الحصر حقيقياً إذ يمكن إدخال كلّما أراد الله فيهما.

وعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة»، قلت: يدخله الله بالذنب الجنة؟ قال: «نعم إنَّه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة». (الكافي الشريف:١٠/١٥٧).

وعن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «...ما خرج عبد من ذنب بإصرار وما خرج عبد من ذنب إلَّا بإقرار». (الكافي الشريف:١٠/١٥٩).

وعن الحسين بن محمد، عن محمد بن عمران بن الحجاج السبيعي عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «من أذنب ذنباً فعلم أنَّ الله مطلع عليه إنْ شاء عذبه وإنْ شاء غفر له وإنْ لم يستغفر». (الكافي الشريف:١٠/١٥٨).

أقول: لعلّ المراد به العلم الذي يؤثر في النفس ويثمر العمل وإلَّا فكلُّ مسلم يقر بهذه الأُمور ومن أنكر شيئاً من ذلك فهو كافر ومن داوم على مراقبة هذه الأُمور وتفكر فيها تفكراً صحيحاً لا يصدر منه ذنب إلَّا نادراً ولو صدر منه يكون بعده نادماً خائفاً فهو تائب حقيقة وإنْ لم يستغفر باللّسان ولو عاد إلى الذنب مكرراً لغلبة الشهوة عليه ثم صار خائفاً مشفقاً لائماً نفسه فهو مفتن تواب.

وعن أحمد بن خالد، عن محمد بن عليٍّ، عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي هاشم، عن عنبسة العابد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله يحب العبد أنْ يطلب إليه في الجرم العظيم ويبغض العبد أنْ يستخف بالجرم اليسير». (الكافي الشريف:١٠/١٥٧).

وقيل: (أن يطلب) أي أنْ يطلب أو هو بدل

اشتمال للعبد وتعدية الطلب بـ(إلى) لتضمين معنى التوجه ونحوه.

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن إسماعيل بن سهل، عن حماد عن ربعي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إنَّ النّدم على الشرّ يدعو إلى تركه». (الكافي الشريف:١٠/١٥٩).

وعن عليّ بن الحسين الدقاق، عن عبد الله بن محمد، عن أحمد بن عمر عن زيد القتات، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلَّا غفر الله له قبل أنْ يستغفر وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنّها من عند الله إلَّا غفر الله له قبل أنْ يحمده». (الكافي الشريف:١٠/١٦٠).

فالندم يعبّر عن يقظة الضمير، وهو يعبر عن عودة التائب إلى ذاته وفطرته التي فطر عليها يوم خلقه الله سبحانه وتعالى وأودع فيه كلَّ هذه المحركات والموجهات نحو فعل الصالحات، ولعلَّ هذا ما يعكس وجهة نظر المفكرين الإسلاميين حينما يرون أنّ الخير أقدم صفة من الشر في داخل الإنسان، وهو عكس ما يعتقده الكثير من المفكرين الغربيين امتداداً لأفكار فلاسفة اليونان، إذ اعتقدوا بأصالة الشرّ في الإنسان فهو يخلق وفي داخله نزعة الشرّ فالندم يمثل بداية الرجوع عن الذنب، وهو عكس الإصرار.

وينبغي أنْ نلتفت إلى وجوب المبادرة إلى التوبة فإنّ الأمراض القلبية حالها على أقل التقادير كحال الأمراض البدنية، فالمرض إذا انتشر في الجسم يكون علاجه أصعب ممّا لو كان في بدايته، وقد أشار القرآن إلى هذه النقطة المهمة إذ قال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.[آل عمران:١٣٣]

وفي آية أُخرى قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾.[التحريم:٨]

والتوبة النصوح هي المعالجة السريعة الفورية للخطأ والعودة إلى طريق الصواب.

ومن هنا يأتي السؤال هل أنَّ هناك توبةً تختلف عن الأُخرى أم أنّها واحدة في كلِّ الأحوال؟

فقد دلَّت الآيـات وكذلك الروايات على أنّ لها حقيقةً واحدةً ولكنَّها قد تختلف من شخص لآخر، كما هو حال كلِّ فعل يأتي به الإنسان تقرباً إلى الله فقد يختلف من شخص لآخر حسب درجة اعتقاد وإيمان فاعل الفعل بضرورة هذا الفعل وأهميته، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾.[التحريم:٨]

إذ هناك توبة نصوح وأُخرى ليست بنصوح وإنّما هي مجرد ندم في لحظة من اللحظات سرعان ما تزول عنه ويعود إلى سابق عهده كما هو حال أغلب الناس، وقد سئل للإمام أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام عن التوبة النصوح، فقال: «نَدَمٌ بِالْقَلْبِ وَاسْتِغْفَارٌ بِالْلِسَانِ وَالْقَصدُ عَلَى أنْ لاَ يَعُودَ». (تحف العقول:٢١٠).

فالتوبة النصوح هي على ثلاث مراحل لابُدَّ للتائب أنْ يقطعها ليكون قادراً على ترك الذنوب، فحقيقة التوبة هي الرجوع إلى الله بعد الإعراض عنه، أو الرجوع إلى الصراط المستقيم بعد الانحراف عنه، ولذلك لابُدَّ أنْ يكون واضحاً ومدركاً من قبل التائب أنّ الابتعاد عن الله والانحراف عن سبيله خسران كبير لا يعدله خسران آخر وإلَّا فكيف يدرك أهمية التوبة، ومن هنا تبدأ حالة يقظة الضمير أو العودة إلى الذات حينما يبدأ بالندم على الذنب الذي أذنبه والانحراف الذي بدر منه.

هناك مـراحـل ثـلاث هـي التي تحقق التوبة الصادقة النصوح وهي:

المرحلة الأُولــى: هي مرحلة يقظة الضمير، والشعور المذنب بانحرافه فيندم على معصية الله، وتعرضه لسخطه وعقابه، وحسب تعبير الإمـام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام «ندم بالقلب» والتي تؤدي إلى الاستغفار باللسان.

أمّا المرحلة الثانية: هي مرحلة الإنابة إلى الله عزَّ وجلّ، والعزم على طاعته وترك عصيانه، وفيها يجب الاستغفار والقصد على أنْ لا يعود كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام.

والمرحلة الثالثة: هي مرحلة تصفية النفس من رواسب الذنوب وتلافي سيئاتها بالأعمال الصالحة، وفـي هـذه المرحلة يلتزم عملياً بالابتعاد عن



الذنوب التي ارتكبها ويحاول محو آثارها بالحسنات إذ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.[هود:١١٤]

بقي سؤال واحد وهو كالآتي:

ما لمن تاب من الذنب عند الله سبحانه وتعالى؟ إذ هناك الكثير من الآثار للتوبة فقد تعهد ربُّنا بغفران الذنوب فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.[طه:٨٢]

وفي آية التوبة النصوح ذكر الكثير من هذه الآثار فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[التحريم:٨]

فآثارها هي: غفران الذنوب والسيئات، ودخول الجنة المملوءة بالنعم، وعدم الفضيحة في ذلك اليوم العصيب الذي ترتفع فيه الحجب وتظهر فيه حقائق الأشياء، لهم نور خاص بهم بين أيديهم وبأيمانهم ليضيء طريقهم إلى الجنة، ويتجهون إلى الله سبحانه وتعالى أكثر ممّا كانوا سابقاً، ويرجون تكميل نورهم والغفران الكامل لذنوبهم.

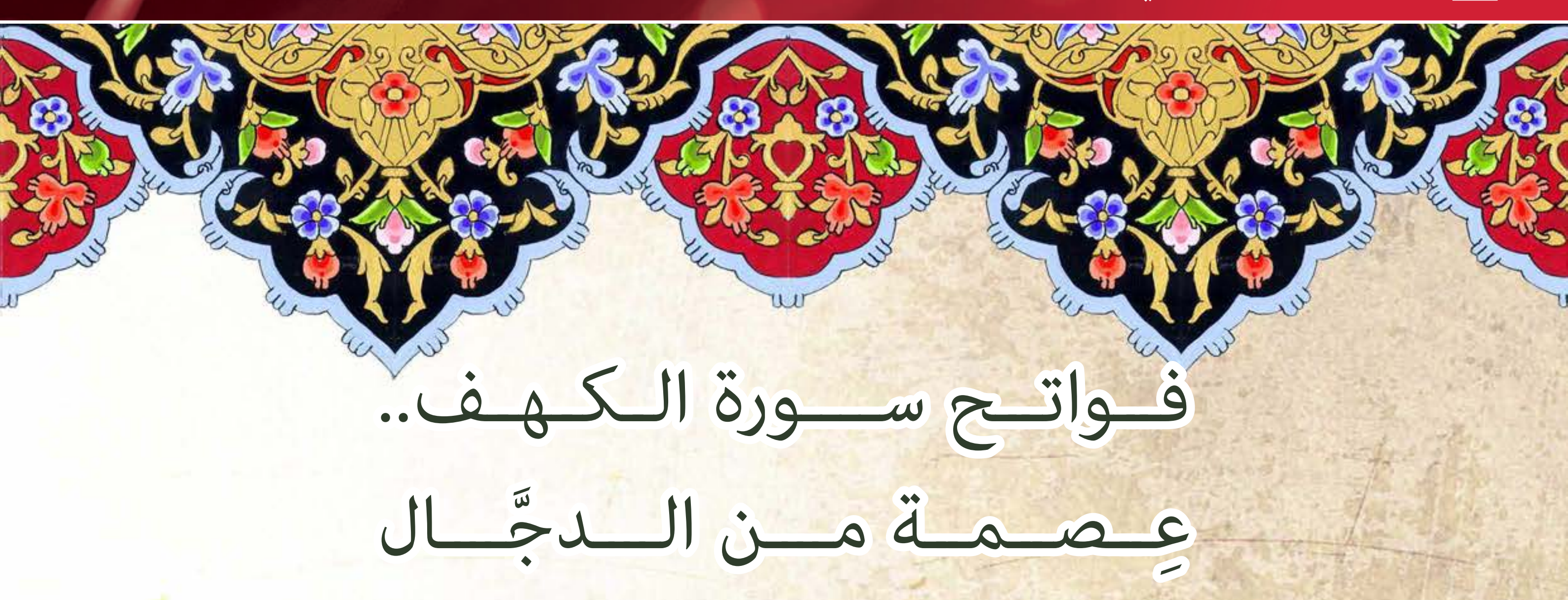
ووعد الله المذنبين حتى وإنْ كانوا مسرفين أنْ يغفر لهم ذنوبه فقال لهم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.[الزمر:٥٣]

وكما ورد عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: التائب عن الذنب كمن لا ذنب له». (ميزان الحكمة:١/٥١١).

وورد أيضاً عن النبيّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: «ليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب، أو مؤمنة تائبة». (بحار الأنوار:٦/٢١،ح١٥).

وإذا كانت التوبة هي عودة إلى الذات وإلى فطرة الله التي فطر الناس عليها، أو هي عودة إلى الله فإنّ الله يحبُّ التوابين العائدين إليه، ويرتب على توبتهم الكثير من الآثار في الحياة الدنيا والآخرة، فينبغي المسارعة لها لا تأخيرها فلعلَّ العمر ينقض الساعة.

الشيخ حيدر الشمري



فواتح سورة الكهف.. عِصمة من الدجَّال

من أخطر القضايا التي تهم الإنسان المؤمن على وجه البسيطة هي قضيّة الدجَّال، ومن المؤسف أنّها لم تنل استحقاقها من البحث، فحتّى وقت قريب كان البحث فيها روائياً بحتاً، فيكفي أنْ تأتي بالأحاديث التي تناولت الدجَّال وتسطرها وتفهمها على ظاهرها لتقول: هذا هو الدجَّال فاحذروه!

وما هو مأثور في (الدجّال) يحتاج دراية وفهماً صحيحاً، وقد كان يُعتقد إلى وقت قريب بأنّ الدجَّال كما هو ظاهر الروايات رجل كذّاب، له مواصفات خاصّة، وهو عظيم الجسم له قوى خارقة لم تكن حتى لبعض الأنبياء!!

ولمّا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله قد روى ما يحدث في العالم إلى يوم القيامة كما روى زيد بن أرقم في حديث الغدير «أمَر رسول الله - صلَّى الله عليه وآله - بالشجرات فقمّ (كنس)، ما تحتهن، ورش، ثم خطبنا، فوالله ما من شيء يكون إلى يوم الساعة إلّا أخبرنا به يومئذ».(خلاصة عبقات الأنوار:٣٨٩/٧)

فإذا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله قد أخبر الأُمَّة عن كلِّ ما يكون إلى يوم القيامة، فأين ذكر المخترعات الحديثة في الأخبار على سبيل المثال؟ وهي أُمور ملفتة للنظر بل هي زبدة ما أبدعه البشر في المجال التقني في تاريخ الإنسانية الطويل، مثل الطائرة والباخرة والصواريخ والأقمار الصناعية وسائر المخترعات الأُخرى والتي غيرت وجه البشرية إلى الأبد؟

وإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا مِنْ فِئَةٍ تَبْلُغُ مِائَةَ رَجُلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَأَنَا عَارِفٌ بِقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا».(كتاب سليم:٩٤٢/٢)

فأمير المؤمنين عليه السلام يعرف كلَّ فرقة تبلغ مائة فرد فما فوق (كما هو ظاهر العبارة) ومن هذه الفِرَق الضالة ما يكون في الجانب الغربي للكرة الأرضية (في العالم الغربي)، ومنها ما في الجانب الشرقي من الكرة الأرضية (في العالم الأصفر)، ومنها ما في مجاهل إفريقيا، ومنها ما يكون قريباً من القطب الشمالي.

فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم كلَّ هذا فأين ذكره في الأخبار؟ وهل يعقل أنّ الناس تسمع هذا الكلام ولا تسأل عنه أبداً، أو أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تكلم عن هذه الفرق ولم يصلنا عنها شيء؟ أليس هذا هو الأقرب للواقع؟!

وكذلك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله، فقد تكلّم عن كلّ ما يحدث من الأُمور الملفتة للنظر، والتي لها إسقاط على حياة الناس إلى يوم القيامة، وتمثل انعطافة وعلامة فارقة في مسيرة الإنسان، لكنّه النقل!!

فكم رواية شُوهت معالمها بعدم فهم السامع أو الناقل ولكن قد نجد لهم العذر في بعض الموارد، إذ يقول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ».(الكافي الشريف:٢٣/١)





فالنبيٌّ كان يشبّه لهم هذه المخترعات، وهي الصواريخ والدبابات والأقمار الصناعية والبواخر الضخمة والغواصات، بما يشاهدونه يومياً من جمال وشياه وماعز وسائر الأُمور الأُخرى والتي لا يفقه البدويٌّ غيرها!!

وهذا له دخل أساسي بموضوعنا (الدجّال)، فمصطلح الدجّال أصل يضم بين جنبتيه معاني، أغلبها جاء مقصوداً بالإشارة إليه في الأخبار، قال ابن منظور: (دجّـال: أي كـذاب، وهو من ذلك لأنّ الكذب تغطية... والداجل: المموه الكذّاب، وبه سمّي الدجّال. والدجّال: هو المسيح الكذّاب، وإنّما دجله سحره وكذبه. ابن سيده: المسيح الدجّال رجل من يهود يخرج في آخر هذه الأُمّة، سمّي بذلك لأنّه يدجل الحق بالباطل، وقيل: بل لأنّه يغطّي الأرض بكثرة جموعه، وقيل: لأنّه يغطّي على الناس بكفره، وقيل: لأنّه يدّعي الربوبية، سُمّي بذلك لكذبه، وكلٌّ هذه المعاني متقاربة، قال ابن خالويه: ليس أحد فسّر الدجّال أحسن من تفسير أبي عمرو قال: الدجّال المموِّه، يقال: دجلت السيف موّهتُه وطليتُه بماء الذهب).(لسان العرب:١١/٢٣٦)

وكلُ هذه المعاني صحيحة كما سيتَّضح.

وقال الزبيدي: (قيل: هو من دَجَل الرجل: إذا قطع نواحي الأرض سيراً. قال أبو العباس: سمّي دجالاً لضربه في الأرض، وقطعه أكثر نواحيها... أو من الدجّال، كسحاب، للسرجين سمّي به لأنّه ينجس وجه الأرض). (تاج العروس:١٤/٢٢٨)

وقبل الدخول في تفسير الروايات الواردة في المقام يجب أنْ نقرر حقيقة مهمة، وهي أنّ الله أجلّ وأعظم من أن ينزّل إلى الناس مخلوقاً هائلاً اسمه (الدجّال) فيأمر الشمس بالمسير معه فتستجيب! وكذلك السحاب، ويدّعي الربوبية ويتلاعب بالنظام الكوني بالمعجزة، كما تروي الروايات، وبعدها يطلب الله من الناس التمييز بينه من جهة وبين المعصوم والنبيِّ من جهة أُخرى! فكيف يستطيع المكلف التمييز بين الصادق والدجال مع مشاهدته أنّ الطرفين يقومان بالمعاجز نفسها؟

ومن المعروف أنَّ الإعجاز سمّي بذلك لكونه يعجز الكاذب من الإتيان بالمثل، فالمعجزة هي الأمر الخارق المصاحب للدعوى المقرون بالتحدي، فإذا كان الدجّال قادراً على المعجزة أنّى شاء بطل التكليف، وهذا باطل بداهة، فعلمنا من هذا أنَّ الدجّال ليس ما فهموه، وما عليه ظاهر الروايات، بل إنَّ للروايات تأويلاً مقبولاً ولطيفاً، بل هو إعجاز غيبي وفتح في بابه إنْ ثبت.

بعد هذا نقول: إنْ كان الأمر كذلك فيجب ألّا تؤخذ الأخبار التي تقول إنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله رأى الدجّال رأيَ عين (كما في بعض الأخبار) لسبب بسيط وهو أنّـه ليس هناك دجـال متجسد يـراه النبيٌّ! بل إنّ النبيّ رأى رؤيـا والمعروف أنّ الرؤيا للصالحين عامة (والأنبياء خاصة) تأتي بعضها في صور مثالية للمجردات، فيرون الموت متجسداً بجسم أو آلة، والرزق كذلك، والخير مثله وهو المعروف من العرفاء.

وقد جاء في الأثر أنّ الموت يتحول إلى كبش ويذبح بعد الحساب في يوم القيامة فيقال لأهل الجنة خلود لا موت ويقال لأهل النار خلود لا موت.

وحتى لو لم تكن رؤية الدجّال التي رآها النبيٌّ في المنام بل في اليقظة فإنّنا لا ننفي تجسد المعنويات والمجردات في قوالب مادية كما كان الأمر في الموت والحياة وأمثالها من الأُمور التي رآها النبيٌّ صلَّى الله



عليه وآله ليلة الإسراء والمعراج.

روي عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله أنّه قال عن الدجَّال: «رأيته بَيْلَمَانيًّا أقْمَر هِجَاناً، إحْدَى عينيه كأنَّها كوكب دُرّي». (الفايق في غريب الحديث:١/١١٤).

ولا يمكن بحال من الأحـوال أنْ يكون الكلام حقيقة، بل إنّ الناقلين للروايات أفسدوا كثيراً من المعاني الجميلة التي يـراد إيصالها من المعصومين عليهم السلام، وذلـك لأنّ هؤلاء الـرواة لم يفهموا مراد المعصوم فروى كلٌّ راوٍ بما اختلط لديه من عناصر الثقافة الذاتية، والتي نعلم يقيناً أنّها ستشوه الكلام المنقول.

وروى ابن سلامة في مسنده عن أبي هريرة عن النبيّ صلَّى الله عليه - وآله - وسلم قال: «مَا يَنْتَظِرُ أَحَدُكُمْ إلَّا غِنًى مُطْغِياً، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُقَيِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ، فَالدَّجَّالُ شَرُّ غَائِبٌ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَر». (مجموعة ورام:١/٢٧٩)

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين: من الدجَّال؟ فقال عليه السلام: «أَلَا إِنَّ الدَّجَّالَ صَائِدُ بْنُ الصيْد». (كمال الدين وتمام النعمة:٢/٥٢٦).

وابن صيد هذا صحابي معروف كان معاصراً للنبيّ صلَّى الله عليه وآله واسمه في بعض الكتاب (ابن صيّاد) أو صائد بن صائد، فلو كان ظاهر الخبر صحيحاً فكيف يقول النبيٌّ في رواية أبي هريرة (إنّ الدجَّال شرُّ غائبٌ) مع أنّه يعيش بينهم وهو صائد بن صيد؟!

روى الشيخ المجلسي قدس سرّه في البحار عن أبي سعيد الخدري: أنّه قال: (صحبت ابن صيّاد إلى مكة فقال لي: ما لقيت من الناس؟ يزعمون أنّي الدجَّال! ألست سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول «إنّه لا يُولد له»، وقد وُلد لي، أليس قد قال هو كافر؟ وأنا مسلم، أوليس قد قال: «لا يدخل المدينة ولا مكة» وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة). (البحار:٥٢/١٩٩)

فالمسكين ابن صيد كان معاصراً لقوم لم يفرّقوا بين ألفاظ المعصوم (مع دقتها) فاتهموه بأنّه هو الدجَّال.

والراجح أنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام لم يقولا إنّ (الدجال هو ابن صائد) كما ذكر المجلسي في روايته، بل إنّهما شبّها الدجَّال بصائد بن صيد لجهة شبه بين ابن صيد وبين القالب المثالي الذي رأوه به، وتشبيه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بعض الشخصيات الغائبة (أو الأُمور الغائبة) بالصحابة أمر شائع بالأخبار ففي الرواية: «فيبعث الله عزَّ وجلَّ عيسى ابن مريم عليه السلام كأنَّه عروة بن مسعود الثقفي».(معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام للكوني:٢/١١١)

فهنا شبه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله المسيح عليه السلام بالصحابي عروة بن مسعود، ولكون المقام المقدس للمسيح غير متصوّر لم يكن هناك داعٍ اجتماعي عند الناس بأنّ ابن مسعود هو المسيح لكونه غير متصور عند الناس، بخلاف تشبيه الدجَّال بابن الصيد، إذ كانت هناك دواعٍ اجتماعية منطلقة من الجو الذي يلفه التخلف، وعدم الدقة بالمرويّات بالعصر الأول للإسلام، وإثارة الخبر والتشبيه!

إذ لـم يعلموا بعد أهمية الـروايـات التي سمعوها من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله إلّا بعد مضي زمن على وفاته.

روى مسلم في صحيحه (عن عبد الله بن عمر





بن الخطاب عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه - وآله - وسلم يقول: «بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء قلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريم، ثمَّ ذهبت التفت، فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين كأنّ عينه عنبة طافية قلت من هذا؟ قالوا: الدجَّال أقرب الناس به شبهاً ابن قطن). (صحيح مسلم:١/١٥٦).

وزاد أحمد بن حنبل: (ابن قطن رجل من بني المصطلق). (مسند أحمد:٢/١٢٢).

فالرواية هنا صريحة بالرؤيا، وهي نصٌّ في المقام، وفيها زيادة عن ذلك تشبيه الأعور الذي رآه النبيٌّ في الدجَّال بخلقة الصحابي ابن قطن (والظاهر أنّه كان أعوراً).

وفي رواية عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: (إنّه شاب قطط، عينه طافئة، كأنّي أشبّهه، بعبد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف). (معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام:٢/١٣)

هنا الراوي لم يصرّح بأنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله رأى الدجَّال في المنام، وأغفل الراوي أهمّ جزء بالرواية فضاعت معالمها وملامحها فلم تعطِ المرجو منها للفهم، على أنّ ابن قطن هذا قد نال تشبيهاً آخر بعمرو بن لحي وهو أوّل من غيّر دين العرب إلى الشرك). (المحبّر لمحمد بن حبيب البغدادي:٩٩).

ومرة أُخرى شبّه النبيٌّ صلَّى الله عليه وآله عين الدجَّال بعين الصحابي أبي يحيى فقال: (وإنّه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجَّال ممسوح العين اليسرى كأنّها عين أبى يحيى). (المستدرك على الصحيحين:١/٣٣٠. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام:٢/٣٢)

فعلى هذا فإنّ تشبيه الدجَّال بابن الصيد تارة وابن قطن أُخرى وبأبي يحيى تارة ثالثة ما هو إلَّا لشبه معين أراد النبيٌّ صلَّى الله عليه وآله إيصاله من أقرب طريق لا أكثر!

ومن القرائن على ذلك هو نصيحة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله بقراءة فواتيح سورة الكهف، إذ ورد عنه صلّى الله عليه وآله: (إنّه شاب قطط، عينه طافئة، كأنّي أشبّهه، بعبد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف). (معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام:٢/١٣).

وفي رواية أُخرى لمن أدرك الدجَّال قال: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة، أُعطي نوراً من حيث يقرأها إلى مكة، وغفر له إلى يوم الجمعة الأُخرى، وفضل ثلاثة أيام، وصلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفي من الداء، والدبيلة، وذات الجنب، والبرص والجذام، وفتنة الدجَّال». (إعانة الطالبين للدمياطي:٢/١٠٣)

ونقل العلّامة الحلّي عن بعض كتب القوم عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كلِّ بلية فإنْ خرج الدجَّال عُصِم منه». (منتهى المطلب:١/٣٣٨)

والظاهر أنّ هذه الأحاديث المرشدة لمواجهة الدجَّال بسورة الكهف أو فواتيحها تضمّ مفتاح الفهم الصحيح لماهيّة الدجَّال لمن تأمل!

التتمة في الحلقة الثانية.

بقلم: الشيخ عبد الرحمن العقيلي

قـــدرة الـعـقـل والـعـلـم والـــروح ومـــا وراءهـــم

العقل البشري قبس مقتبس وآلة مستكشفة والآلة لا تدرك قد تصيب وتخطئ في البداية، لكن بعد التجربة وتجارب يمكن استخدام الآلة، وهذا ليس لنقص العقل أبداً، فالعقل كامل ومعصوم بل لجهل العقل بالعلم قبل تعلمه.

فالعلم هو إمام العقل والعقل يأتم بالعلم؛ لذا وضعت الشرعة سابقة للتجربة عن علم لا مجرب فوق التجربة، والعقل خاضع.

فهو أداة النفس والنفس ذات، وأداتـهـا البدن ومزاوجها فيها الروح المازجة بين النفس والبدن.

فالعقل آلة النفس ومرشدها، أمّـا الـروح محرك النفس في البدن وخارجه، وهي الوعي بدونها الذات.

و(النفس) واعية لا متفكرة والوعي بلا عقل يقظة بلا تدبر والنفس سلطان على عرش آلة البدن، تسوقه بالروح وترشده بالعقل وينبغي أنْ تفتح باب العقل وتسير خلفه.

فالعقل ليس الدماغ إنّما هو باب يفتحه الإنسان ويغلقه متاح لمن أراد وهو مكتسب ومركب ولأنّ النفس ذات تموت في البدن لتحيى خارجه بالروح فتنزع وتجرد من ثوب المادة إلى ما وراء المادة لتلبس قالباً آخر.

فعن يونس بن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فقال: «ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟»، قلت: يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أنْ يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس، المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا».(التهذيب:١/٤٦٦).

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «المؤمن أكرم على الله من أنْ يجعل روحه في حوصلة طير، ولكن في أبدانٍ كأبدانهم».(التهذيب:١/٤٦٥).

عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين، فقال: «في الجنة على صور أبدانهم، لو رأيته لقلت فلان».(الكافي الشريف:٣/٢٤٥).

إذا لاحظنا تلك روح البدن والقوة التي بها يمشي ويتبع ذاته التي هي النفس فتكون روحه في قالب بدن آخر كقالب الدنيا لكنَّه أسلم وأصح وأجمل وأقوى. (الكافي الشريف:٣/٢٤٤).

إنّ النفس هي التي تذوق الموت بألم عبر أدواتها (البدن والعقل) لأنّها الذات وليس الروح، ويجزع العقل لنزع الروح فتنحل العلقة بين النفس والبدن لخروج الرابط بين البدن والنفس والمزاوج بينهما: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾.[آل عمران:١٨٥]

وسئل عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال: «إنّ الروح متحرك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنَّه اشتق اسمه من الريح، وإنّما أخرجه عن لفظة الريح، لأنّ الأرواح مجانسة للريح، وإنّما أضافه لنفسه لأنَّه اصطفاه على سائر الأرواح.

و قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾. [الأنعام:٩٣]

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (*) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (*) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (*) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.[الفجر٢٧-٣٠].

فمدار الإثابة والإنابة والعقوبة والفعل والمديح والهجاء منسوبة للذات وهي النفس لا لأدواتها التي بها تسبح في الوجود هنا وما وراء المنظور.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾. [لقمان:٣٤] أي المقصود الذات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ ﴾.[الزمر:٤٢] فالذوات تنتقل من هنا إلى هناك بعد استيفاء المدة وتهاوي الآلة التي هي البدن وهي دابة النفس تساق بالروح وتسير بالعقل.

وقوله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾.[المائدة:٣٢] وهنا أيضاً يقصد الذات.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ ﴾. [الإسراء:٣٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾.[النساء:٢٩].

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾. [كهف:٧٤].

إنّ النفس لأمارة بالسوء (فالذات أمّارة تحجب العقل؛ لذا علينا السير خلف العقل، فإنْ سار الإنسان خلف الذات والهوى زلّ بعقله وفقد عقله حين الزلة.

لذلك يقال لغير الإنسان من الحيوان إنَّه ذو روح لا ذو نفس لأنّه مسخّر، فالشاة روح وبدن وعقل بلا نفس إذ لم تودع فيها ذات ولولا ذلك ما حلّ أكلها لذلك حرم ما كان ممسوخاً على صور بعض الأجناس لأنّ تلك فيها نفس مودعة وبغيرها لا أنفس لأنّ تحول الماهية يستلزم بقاء ما هي عليه بمسخ صورها.

ولا وجود لقتل روح أو موت روح أو دخول روح إلى جنة أو إلى نار أو إحيائها أو تزكيتها.... كون الروح هي عامل طاقة وتأييد وتحريك قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾.[البقرة:٨٧] أي روح التسديد.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾.[المجادلة:٢٢] أي روح المعرفة والإصابة والعصمة.

وقال تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾.[الحجر:٢٩] أي من سلطاني.

كما يقول أحدهم سأقوي فلاناً وأنفخ فيه روح القوة والتأييد.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾.[النساء:١٧١] أي تأييد منه لخلقه.

لذا ورد في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله: «...فأمَّا ما ذكره الله جلَّ وعزَّ من السابقين السابقين فإنّهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن؛

فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الأشياء، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معائشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ المطعم والمشرب ونكحوا الحلال من النساء، وبروح البدن دبّوا ودرجوا، فهؤلاء

> عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمنين بروح منه، تحضره في كلِّ وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كلِّ وقت يذنب فيه ويعتدي؛ فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم، تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرأً همّ بخير فعمله أو همّ بشرٍّ فارتدع عنه، ونحن نؤيد الروح بالطاعة له والعمل له.

مغفور لهم، مصفوح عن ذنبهم، ثمَّ قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ * مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ * وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ * وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.[البقرة:٢٥٣]، ثمَّ قال في جماعتهم ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.[المجادلة:٢٢] يقول: أكرمهم بها وفضلهم على سواهم، فهؤلاء مغفور لهم».(الكافي الشريف:٢/٢١٤).

أقول: إنّ الروح المزاوج بين النفس والبدن هي عبارة عن تزاوج النفس بأدوات البدن.

أصحاب الميمنة

ثمَّ ذكر عليه السلام أصحاب الميمنة فقال: «وهم المؤمنون حقاً بأعيانهم، فجعل فيهم أربعة أرواح: روح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فلا يزال العبد مستكملاً هذه الأرواح الأربعة حتى تأتي عليه حالات». فقيل: يا أمير المؤمنين وما هذه الحالات؟ فقال الإمام عليه السلام: «أمّا أوّلهن فما قال الله ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[النحل:٧٠]، فهذا تنقص منه جميع الأرواح، وليس بالذي يخرج من الإيمان، لأنّ الله هو الفاعل به ذلك ورادّه إلى أرذل العمر، فهو لا يعرف للصلاة وقتاً، ولا يستطيع التهجد بالليل، ولا الصيام بالنهار، فهذا نقصان من روح الإيمان، وليس بضاره شيئاً إنْ شاء الله؛ وتنقص منه روح الشهوة، فلو مرت به أصبح بنات آدم ما حنّ إليها؛ وتبقى فيه روح البدن فهو يدبّ بها ويدرج حتى يأتيه الموت، فهذا بحال خير، الله الفاعل به ذلك؛ وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه بهمّ بالخطيئة فتشجعه روح القوة، وتزين له روح الشهوة، وتقوده روح البدن، حتى توقعه في الخطيئة، فإذا مسها انتقص من الإيمان ونقصانه من الإيمان ليس بعائد فيه أبداً أو يتوب فإنْ تاب وعرف الولاية تاب الله عليه وإنْ عاد وهو تارك الولاية أدخله الله نار جهنم». (بصائر الدرجات:٤٧٠).

أصحاب المشأمة

قال عليه السلام: «أمَّا أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى، قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ في منازلهم ﴿...وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الرسول من الله إليهم بالحق ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ فلمَّا جحدوا ما عرفوا ابتلاهم الله بذلك الذم فسلبهم روح الإيمان وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوة وروح الشهوة وروح البدن، ثمَّ أضافهم إلى الأنعام فقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ لأنّ الدابة إنَّما تحمل بروح القوة، وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن». فقال السائل أحييت قلبي. (بحار الأنوار:١٣٣/٥٨).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف، وهو قول الله تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ

﴿الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:٧-١١]، فالسابقون هم رسل الله وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح، أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عزَّ وجلَّ، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عزَّ وجلَّ وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله عزَّ وجلَّ، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون». (الكافي الشريف:٢٧٢/١).



وعن الإمام الباقر عليه السلام حينما سئل عن علم العالِم؟ فقال عليه السلام: «إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة؛ فبروح القدس عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى»، ثمّ قال عليه السلام: «إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّا روح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب». (الكافي الشريف:٢٧٣/١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام حينما سئل عن علم الإمام في أقطار الأرض، وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ قال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ خمسة أرواح: روح الحياة فيها دبّ ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة؛ فإذا قبض النبيٌّ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو؛ والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يَرَى به».(شرح أصول الكافي:٧٢/٦).

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمنين بروح منه، تحضره في كلِّ وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كلِّ وقت يذنب فيه ويعتدي؛ فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيخ في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم، تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرأً همّ بخير فعمله أو همّ بشرٍّ فارتدع عنه»، ثم قال: «نحن نؤيد الروح بالطاعة له والعمل له». (الكافي الشريف:٢٦٨/٢).

وورد في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن الروح في آدم، في قوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]، قال: «هذه روح مخلوقة والروح التي في عيسى مخلوقة». (بحار الأنوار:١٣/٤).

وسئل عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فقال: «هي روح الله مخلوقة، خلقها الله في آدم وعيسى».(بحار الأنوار:١٢/٤).

وسئل عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال: «إنّ الروح متحرك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنّه اشتق اسمه من الريح، وإنّما أخرجه عن لفظة الريح، لأنّ الأرواح مجانسة للريح، وإنّما أضافه لنفسه لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح، كما قال لبيت من البيوت بيتي، ولرسول من الرسل خليلي، وأشباه ذلك، وكلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر».(الكافي الشريف:١٣٣/١)

بقلم: حيدر الشطري

إصدارات شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

واقعة الحرة
صراع المصالح والثوابت
تأليف:
حسين علي الطفيلي



■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أنَّ المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى إرسال الأعمال على البريد الإلكتروني التالي:

Email: info@imamhussain-lib.com